شخص عادي

عنـــوان الكتـــاب: شـــــــــخص عــــــــــادي
نـــــوع العمــــل: روايـــــــــــــــــــــــــــــة
التـأليـــــــــــف: عبـــد الـــــرحمن علـــي محمــــد
مراجعـــة لغويــة: ياســــــــــر عبــــــــــد الله
الإخـــــراج الفنـــيّ: سالم عبد المعز سواح (عمرو سواح)
غـــــــــــــلاف: محمــــــــــد القـــــــــــديم
رقـــم الإيــــداع: 2021/25625
التـــرقيم الـــدولي: 978-977-6899-12-4
الناشــــــــــــر: دار (المثقفـــــون العـــــرب)

Facebook Page: المثقفون العرب للنشر والتوزيع
Email: elmothakafon@gmail.com
Tel: 00201062281356

شيرين القاضي

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار المثقفون العرب

كل الحقوق محفوظة

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

شخص عادي

رواية

عبد الرحمن علي محمد

"ابتسم لو القلب يقطرُ دمًا، وتوقع خيرًا،

مهما كَثُر البلاء"

(علي بن أبي طالب)

المقدمة

لم نَعد نُبالي بما تُقدمه لنا الحياة من مُفاجآت، نمضي بهدوء تاركين كل شيء خَلفَنا؛ تاركين كل ما نعيشهُ لله؛ لم نَعد نتأثر بأي شيء في حياتنا الآن أصبحنا أقوياء، بعد أن أذقنا جميع أنواع الألم الذي ما زلنا نُعانيه في تلك الحياة؛ حتى أدركنا أن لكل شيء نهاية،،،

يبدأ الأمر بصعوبة، ثم ينتهي ويمضي ويتلاشى للأبد؛ لم نعد نُبالي بخيانة حبيب أو خذلان صديق أو ظلم قريب، فإننا قد اعتدنا كل هذا؛ ولكل شيء نهاية وسينتهي كل ما نمر به سواء كان فرحًا أم حُزنًا؛ فلا تُبالوا ولا تبالغوا في أحزانكم من أجل وقتٍ سيمضي؛ إنما الحياة سوى أيام معدودة؛ فالحياة عبارة عن ألم مؤقت وحزن يتلاشى وينتهي مع مرور الزمن ثم المُعانة كالفقر الذي لم ينتهِ حتى الآن، والتنمر الذي قد ازداد قدَره في هذه الأيام؛ ولكن اعلموا أن كل ذلك سوف يمضي وينتهي، ويأتينا الله بكل ما هو خير لنا، فلا تجعلوا الحياة تُحزنكم بهذا القدر الذي قد عاشهُ هذا الشاب الذي ستقرؤون عنه هُنا في رواية، شخص عادي، . افعلوا ما يجب عليكم فعله لكي تستطيعوا العيش بسلام، وسلموا لله أموركم يفعل لكم كل ما هو خير؛ فرب الخير لا يأتي إلا بالخير.. ولا تحزنوا، إن ضاقت عليكم الحياة بهمومها وابتلاءاتها حتى أشخاصها؛ فكونوا أقوياء بالله، ولا تجعلوا الحُزن يتمكن من أحدكم وعليكم والعمل جيدًا،

ولا تيأسوا، إذا فشل أحدكم في شيء كان يُريده بشدة؛ وكل ما عليكم القيام والعمل مُجددًا؛؛ وكونوا على علم بأن الحياة ما زالت بخير؛ ولم ينتهِ الخير إلى الآن،

.هذه الرواية لم تكن رواية هدفها الالتماس بهذه الفكرة والعمل بها بينما غرضها التوعية والاعتقاد بأن لكل شيء نهاية؛ إذا كان حُزنًا أم فرحًا حتى إذا كنت شخصًا عاديًا أو عظيم الشأن أو حتى شخصًا مثاليًا، فلا لك مقر ولا لك مكان سوى التراب الذي خُلِقت منه؛ ولن تأخذ معك سوى عملك "فافعل ما شئت من خير أو من شر، فلك موعد ولقاء مع الله؛ وبالله أنها لفانية وأننا لمهلكون جميعًا؛ فقدموا كل ما تستطيعون تقديمه اليوم فلا يعلم منا أحد الغدا أين سيكون"....

*****

(١)

حياة مؤلمة بكامل اختباراتها قد خاضتها الفتاة ، من ألم الأقارب ، وظلم وخذلان الحبيب ،

و بُعد الصديق ، فهي التي رأت ورأت حتي قالوا عنها بأنها عاشت حياة ليست حياتُها ، حقاً قد قالوا إن حياتُها غير متوافقة تماماً مع عمرها هذا...، فأنها "عائشة " التي عانَت كثيراً حتي أمتلئ وجهها بالانكسارات التي دلت علي أنها صاحبة الأربعون عاماً ، وليس التاسعة عشر ...،

فلا أستطع إبراء ذلك ، لأنها الحياة بطبيعتها القاسية ، فدائماً نراها تُصفق للذين يمشون بها بالقوة والظلم وأيضاً الأغنياء الذين يمتلكون ما لا يستطع بعض البشر جمعه... ، أما عن أصحاب القلوب اللينة المُشحمة بالألم والفقر هم الضحايا بها ....،

فكذلك عائشة التي عاشت حياتها مُجرد عناء وشقاء، عاشتها ولم ترَ، ولم تجد إلا بصيصًا من السعادة بها، فكانت كلما تزدادُ عليها الأيام صعوبة، كان الوحيد الذي تلجأ لهُ هو الله -عز وجل- ومع كل تلك الفترات التي مضت بها لم تيأس وتقول أنها لن تستطع العبور من هذه الأيام ، بالعكس التام كانت دوماً تجد والدتها بجانبها تُسندها وتشجعها علي أكمال ما بدأته ....،

***

إنها الفتاة التي تمتلكُ قلبًا حنونًا الذي كان يُسبب لها الكثير من المُشكلات مع كل من يتقربُ إليها؛ إنها عائشة صاحبة الوجه المُشرِق المُنير الذي يُشبه كثيرًا لضوء الشمس في ملامحها الخمرية والعينين السوداوين اللذين يلمعان كثيرًا، حينما تنظر إليهما كأنها تبكي من شدة لمعانها، فأما جسدها، فقد كان يميلُ إلى النحافة قليلًا...

الفتاة لم تكن تثقُ بأحد من أصدقائها سوى " فاطمة" ، لأنها لم تتركها بمفردها في كل تلك الأيام التي مررت بها...

***

- عائشة كانت في عامها التاسع عشر، وقد اقتربت على اكتمال عامُها الجديد، فقد كان والدها رجلًا فقيرًا جدًا، ولكنهُ كان يشقا عليها كثيرًا لكي تتمكن من إكمال دراستها؛ ظل يعملُ كل يوم من أجلها؛ وبالأخص إنها كانت تدرس في أول عام لها في كلية الهندسة ، ورغم فقر والدها، فإنهُ لم يتركها تحتاج إلى شيء كبنات أعمامُها، ومع ذلك، لم يكن قريبًا منها كوالدتها؛ وكان يعلمُ جيدًا ما معنى تلك الحياة، فأما أمُها، فكانت تُغنيها عن عبئ الحياة بأكملها من طيبة قالبها وزينة عاقلها، والابتسامة التي لا تُفارق وجهها المُنير الذي يُشبه تمامًا لوجه القمر، حينما يكتمل..!، فأنها تبتسم ليس من أجل حب الحياة لهم وأكرماهم ، أو إنها اعطتهم من أنعمتها ولكنها تعلم أن شيئٍ هكذا ليس بحاجة إلي الحزن عليه ، فأنها الحياة .، التي عبارة عن أيام مؤقته وسوف تمضي لحالها ....،،

فكانت عائشة تمتلك الكثير من أخوات الأب ، ولكن كان الأقرب إليها العمُ الأصغر سنًا الذي يُدعى " حُسام " كانت تعتبره أكثر من أبٍ وأخ لها، وتُحبه فوق الحُب حُبًا؛ وهو أيضًا يفعلُ معها الكثيرَ من الأشياء التي لم ترها من باقي أعمامها، وكلُ ذلك لأجل أنهُ مُتقارب لها في العمر..

***

فكانت واحدة من أكثر المُشكلات التي حدثت لها بداية مع أول لقاءٍ لها مع الحُب...

قائلة:

قد انكسر قلبي، فلم أعد أهتم بشيء بعدها، لم أعد أنا كما كنت ، وقد تمنيت الموت قبل أن أتمنى العيش لحظة واحدة بعد ذلك الذي حدثَ لي...

- ففي تلك الجامعة التي كانت تتعلمُ بها، التقت يومًا ما بشابًا وسيم المظهر كثير الخُبث.. رأتهُ فأُعجِبت به وقد لمست نارُ الحُب قلبها، وبدأت تحلم بأن يكون لها رفيقًا وحبيبًا، ولكن الشاب لم يكن لها الرجل الذي تستند عليه، بل كان الشاب الذي قد أمسك السكين، وقسم قلبها نصفين.....،

كان الشاب لا يُدرك ما معنى أن تحبهُ فتاة، فظل يُخدعها طوال الوقت، وكان يُخبرها دومًا بحُبه لها، ولكنه لم يفعل ذلك قط؛ وظلت تراه كل يوم، ويُعجبها أكثر فأكثر حتى مر على ذلك الإعجاب الكثير من الوقت إلى أن انقلب معها إلى حُب، وهي لم تخبرهُ بذلك

حتى الآن...

فقد أتى بعد صبر طويل هذا اليوم الذي سوف تذهبُ إليه، وتخبرهُ عن حُبها له، فلما أتت إليه، وتحدثت معهُ، وأخبرتهُ بكل شيء..

رد عليها قائلًا:

إنني مُعجب بكِ يا عائشة مُنذ أن التقيتُ بكِ أول ايامُنا هنا، ولكنني خجول جدًا منك ؛ فلم أستطع إخبارك بذلك منذُ وقتٍ سابق، ففرحَت الفتاة من تلك الكلمات، ولكنها لم تعلم بأنه يكذبُ عليها....

فمضي يوم وراء يوم حتي زاد حُب الفتاة للشاب، وهو مازال مُستمر في خدعها واستغلالها حتى يأخذ منها ما يُريده؛ فقد كان قُرب الشاب من الفتاة ليس من أجل الحُب، بينما من أجل مصلحته الشخصية وهي التقرب من ابنة عمها الأكبر " هند "، التي كان يُريد أن يرتبط بها؛ لأجل حُبه لها؛ فكان يُحبها اكثر من نفسه ، ولكنه لم يستطع الوصول إليها إلا عن طريق الفتاة التي لم تجد حظها في الحياة... فاستمرت تلك العَلاقة المؤقتة أكثرَ من أسبوعين حتى التقى الشاب بهند، وأخبرها عن حُبه لها، وهي كانت تعلمُ بتلك العَلاقة التي تحدثُ بينهُ وبين عائشة

ثم سألتهُ قائلة:

وماذا عن عائشة يا زياد...؟!

فرد عليها قائلًا: إنها كانت وسيلة لكي أتقربُ إليكي وليس بيني وبينها شيء...

فكانت هند تكرهُ عائشة كثيرًا، فاستغلت ذلك لكي تُدمر لها حياتها، فرتبت يومًا لها مع الشاب، وقد أرسلت إليها رسالة، ولكن لم تكن من هاتفها الشخصي، بل كانت من هاتفٍ آخر..

فكتبت لها الآتي: اذهبي الآن إلى مقهى الجامعة، وسوف تجدين الشاب الذي يدعي أنهُ يُحبك يجلس مع ابنةِ عمك هند... فقرأت الفتاة الرسالة وقد تغلغل الشك في دمها، وذهبت مُسرعة إلى هُناك، وقد رأتهم جالسين بجانب بعضهم البعض، ويتبادلان الضحك، ورأت زياد يضعُ يده على كتف هند وهم في غاية السعادة معًا..! فانصدمت ولم تستطع فعل أي شيء سوى الذهاب إلى المنزل....

***

وذهبت إلى منزلها، ولم تخرج منه لمدة يومان متواصلان، وأما عن الشاب، فلم يتصل به ولو لمرة واحدة، ولم يرسل إليها أي شيء سوى أنها كلما تفتح تلك الصفحة التي كانوا يتحدثون بها، تجدهُ أون لأين، فقد قررت الرجُوع إلى الجامعة مرةً أُخرى، وتذهب إليه، وتخبرهُ عما رأتهُ في ذلك اليوم..

فحينما ذهبت، رأت الكثير من أصدقائها ينظرون إليها باستحقار، ولم تعلم لماذا هذه النظرات المؤلمة...!؟ فلا تُدرك شيئًا إلا أنها قد التقت بهند أمامها مُباشرة، وأخبرتها عما يتحدثُ عنه أولئك الطلاب..

وقد اتضح من تلك الكلمات أنهم يقولون عن عائشة إنها قد اقتربت من زياد، وقد فعلت معه الكثير من الأشياء المُحرمة التي لم تحدث قط، وقد قالوا إنها قد استغلت الشاب، وأخذت منهُ الكثير من الأموال، لأنها فقيرة... فانصدمت ولم تنطق بشيء بعدها، إلا أنها ذهبت مُسرعة إلى البيت مرةً أخرى، وظلت تبكي في حُجرتها، ولم يحس بها أحد، ولم تعلم ما الذي قد حدث، وأن ذلك الشاب قد ظلمها، وكسر قلبها وقد خيب ظنها بعد كل تلك الأيام التي قد قضتها معهُ، وقال عنها إنها سارقة استغلتني، وأخذت مني أموالي، وهي لم تكن تدري بشيء، ولما غابت عن كليتها يومين، قد أثبت ذلك عليها... وحينما سمع أصدقائُها هذا الحديث قد صدقوا ما قيل عنها إلا "فاطمة " التي لم تتركها بمفردها في تلك الأيام....

***

تدمرت الفتاة من كثرة الحديث الذي تسمعهُ يتداول بين الناس عنها ، ورغم كل ذلك الذي حدث لها، فلم تعلم أمُها عن شيء هكذا وهي كانت الأقُرب إليها، استمرت الفتاة في المحاولة عن إخباء ذلك عن والديها، ولم ترضَ بعدها قط التقرب من أي شاب آخر.

- هذه الفتاة التي صبرت على ما قيل عنها، واحتسبت كُل ذلك عند ربها....!

***

ثم بعد ذلك قد انعزلت كثيرًا عن العالم، وظلت في غُرفتها، ولم تهتم بتعليمها بعد هذه اللحظة المؤلمة، وقد كانت مُنطفية تمامًا مما حدث لها، بعد أن كانت الابتسامة لا تُفارق وجهها، أصبح وجهها الآن يملؤهُ الانكسارات، وقد بان عليه تلك الهالات السود تحت عينيها، وكل ذلك بسبب حُزنها عما حدث لها في تلك الليلة، ومع مرور كثير من الوقت، بدأت الفتاة بتقبل الأمر والعيش مرةً أخرى، وبدأت في السعي وراء حلمها من جديد، وكانت تحلمُ بأن تكون أكبرَ مهندسة خُلقت علي الأرض ، وتُفرِح قلب والديها بها وكل من يُريد أن يراها سعيدة، قد فعلت ذلك مع الفتاة التي لم تتركها في محنتها، ولم تُصدق ما قيل عنها إنها صديقتها فاطمة ....

. الصديقة المُخلصة لها، هي الذي تعاهدت مع عائشة وبدأو معًا في تحقيق أحلامهما، وقد عاناً كثيرًا من لك الكلمات التي كانوا يسمعونها تتداول بين الناس وغير ذلك

التنمر الذي كان يحدث لهم، ومع ذلك، استمروا في الكفاح إلا أن أُصيبت عائشة باليأس من كثرة الحديثِ عنها بهذا السوء، فشجعتها صديقتها على القيام مُجددًا والنهوض على الطريق مرة أخرى، وبدأت عائشة تعلم معنى طريق الانسحاب، وبدأت في الابتعاد فترة عن دراستها، ونسيت حلمها التي كانت تُريد أن تفُرح قلب والديها به...

***

. ففي ذات ليلة كانت الأسوأ على ذلك الشاب الذي يُدعى (حمزة)

الشابُ الذي عاش حياة مُرهقه بما فيه الكفاية ، فقد كانت حياته كذلك ، لم تكن جميله علي قط ، فلم يعيشها يوماً سعيداً منذ إن كُتب أسمه أمام والده...،

فهي بطبيعتها قاسية ، مؤلمة ، وأيضاً موحشة وغيرُ عادله ، فكم منا يري الخيبات بها ، يري فقدان وتباعد الأحبه بداخلها ، الشاب الذي يمتاز بطول القامة و كثافة الشعر الذي ينزل على وجهه فيُعطيه شيئًا من الجمال الخُلُقي وأما عن عيناه تُشبه السماء في لونها الأزرق الجذاب، ووجهه بشوش جدًا، ولكنه أصبح حزينًا منذُ فقدانهِ لوالديه....

فقد كان يُحب عائشة كثيرًا، يُحبها كثيراً لدرجة أنها أصبحت تُشاركه في أحلامه حينما يخلد للنوم لم يستيقظ يوماً إلا وهو قد راها بهي ...، ولكنها كانت لا تعلم، عنه شيء سوي أسمه فقط ..، فكان مؤلماً جداً علي الشاب ، ومع ذلك لم يخبرها حمزة بحبه لها إلا بعد مرور كثير من الأشهر على هذا ، وكان كل ليلة يريد أن يخبرها عن ذلك، ولكنه لم يستطع من خجلهِ منها، إلا أن أتى اليوم الذي دخل إليها على إحدى صفحات الانترنت الخاصة بها

ثم بدأ مُتحدثًا إليها:

. يا عائشة إنني على علمٍ تام أنكِ تعلمين من المُتحدث إليكِ الآن.. فإن لم تعلمي بي؛ فأنا أُدُعى حمزة، وكنت معكِ السنة الماضية

في المدرسة الثانوية، ولكنني لن أُكثر عليكِ في الحديث، فسوف أتحدث معكِ بكل وضوح...

. ثم أخبرها قائلًا:

إنني أحبك يا عائشة، ولم أستطع أن أخبرك بذلك مُنذ فترة طويلة ، لأنني كنت أخجلُ من أن أخبركِ بهذا، ولكنني الآن قد قلتها..

. فقد أدركت الفتاة ما معنى تلك الكلمات مُجددًا، وتذكرت ما حدث معها من ذلك الشاب الذي ظلمها، ففي تلك اللحظات قد قالت لنفسها إنني لا أرُيد أن أخطئ مرة أخرى في موضوعٍ هكذا...

. ثم ردت قائلة لهُ:

إنني على علمٍ تامٍ بِك يا حمزة، وإني أتذكرُك جيدًا، ولكنني إنسانه مُعقدة لا أنفعُك بشيء، فاذهب عني، واتركني وشأني...

. لم تنتظر عائشة الشاب الرد عليها، إلا وإنها أغلقت المُحادثة في وجهه.. وجعلت الشاب يشعر بألالم من بعد وضعهُ في قائمة تسمى قائمة الحظر.

. لكي لا يستطيع الوصول إليها مُجددًا ....

ثم بدأ يلقي علي نفسهُ الوم قائلًا:

لماذا تفعلين بي هكذا وأنا لم أخطئ في شيء، بل جئتُ إليكِ، وتحدثت معكِ بكامل صراحتي، إلا أنكِ لم تعطيني ثانيةً واحدة بأن أردَ عليكِ بها...

***

. قد كان حمزة يعيشُ حياة قاسية جدًا عليه، كان يُعاني من الوحدة كثيرًا بعد فقدانهِ لوالديه في تلك الحادثة التي حدثت لهم وهو ابنُ العشر سنوات، وقد كان معهم في ذلك اليوم، ولكنهُ نجا منها بأعجوبة وهم توفيوا وذهبوا وتركوه يعيشُ وحيدًا في هذه الحياة، وأما الظلم الذي كان يراهُ من أقرب أصدقائها وعائلته، وكثرت، وشدة الخذلان الذي يحدثُ له، كلما تعامل مع أحد وغير ذلك كثيرًا، أن الشاب كان ليس لديه أحد في هذه الحياة سوى عمهِ الذي يعيشُ معهُ، وكان يُعامله بكل قسوة، ويتركهُ يعيشُ بمفرده في غرفة صغيرة جدًا ومُظلمة دومًا، وأيضًا كانت مُنعزلة تمامًا عنهُ وعن أسرته، وكان لا يخرجُ منها كثيرًا، وقد فعل معهُ ذلك، بعد أن انتزع منه ميراث والديه بعد وفاته، وأخذ منهُ منزله، وباعه وهو صغير، ولم يدرك شيئًا، وأجلسهُ معه في بيته، وقد دخل الشاب في مرحلة الحزن الشديد بعد فقدانهِ لأصدقائه الذين قد تركوه من بعد ما علموا بأنهُ لا يمتلكُ مالًا مثلهم، وظل أكثر من ثلاثة أشهر لم يخرُج من غُرفة نومهِ إلا ليأخذ طعامهُ من زوجة عمه التي كانت تضع لهُ طعامه على أوراقاً قديمة، وكان يأكلهُ من كثرة جوعه؛ فكان يُطلق على ذلك المجتمع (مُجتمع النِفاق) فلم يكن يُحادث أحد سوء نفسهِ إلا أن حالهُ ازدادَ سوءًا بعد ذلك الموضوع، ثم فاقد المُتعة تمامًا في الحياة وحب الانعزال كثيرًا عن الناس وهو لم يكن على علم بالذي يَحدثُ مع الفتاة وما تمر به، وهي أيضًا لم تعلم بأي شيء عن حمزة سوى اسمه، ولا تدري بما يمُر به الشاب من مشكلات في الحياة، وبدأ يبتعد عنها كما ابتعد عن الناس كافة، ويذكر نفسهُ

قائلًا: .تركوني أصدقائي، فذهبتُ مُتجهًا نحو منزلي لا لا نحو غُرفتي، لأنني ليس لدي منزل سوى هذه الغُرفة الكئيبة..، ثم خرجت للعيش بمفردي مرةً أخرى، فالتقيتُ بكِ فأحببتك اكثر من حبي لنفسي ، ثم أنتظرت كثيرًا كي أتحدثَ إليكِ، وها أنا الآن قد فعلت وقد ندمت، وسوف ألتمسُ بحجرتي مُجددًا يا لك من مُجتمع مُنافق تبًا لك وتبًا لأولئك البشر جميعًا.. ولكن لم ينتهِ الموضع بعد ذلك، بل بدأ العناء حينئذ، وبدأ شَقاء الحُب من بعد تلك الليلة مُباشرةً، فبدأت نار الحُب تسكُن بداخل الشاب..!

. بعد مرور أكثر من ثلاثة أسابيع على انتهاء المحادثة، إلا أن الشاب قد بدأ في المُحاولة مرةً أخرى الوصول إليها، فبحث حمزة عن مواقع تواصل جديدة لها، لكي يستطيع أن يُراسلها مُجددًا، ولكن لم يجد شيئًا، وبدأ يفتقدُ الأمل في ذلك، ولكن قلبهُ لا يهاوده على الاستسلام، وكان يفكر نفسه قائلًا:

.إنني صبرتُ كل تلك المُدة، وكنت لم أخبرها بأي شيء عن حُبي لها، فلماذا لم أصبر قليلًا حتى أعلمَ منها لماذا فعلت معي هكذا؟!

***

. وظل من كثرةِ التفكيرِ بها كلَ يَوم يُتابعُ أخبارها، ويدخُل على تلك الصَفحة مُجددًا ويقول لنفسهِ لعلها تفكُ الحظرَ عني، وأستطيع محادثتها من جديد، اِستمر في البحث كل ليلة عن أي شيء، فلم يحدث شيئًا هكذا ، ثم فاق لنفسهِ، وبَدأ في التفكير في الذي قَد وصل إليه من تدهور جسدي وفشل دراسي حتى ترك

هاتفهُ، ونظر إلى مُستقبلهِ الذي يَضيع منه...

. ولكنهُ بعد فترة قصيرة من الوقت رجع يبحثُ عن الفتاة التي لم تُعطه فرصة واحدة، ثم بدأ في الخُروج من الغُرفة مُجددًا بعدها إلى أرض الواقع أو أرض النفاق كما يقول عنها، وقرر بأن ينسى ما حدثَ له، وأن يحتفظ بها في قلبهِ فقط بعد الآن، فبدأ بعد ذلك بأن الاهتمام بمُستقبلهِ والحفاظ على نفسه، وخرج من غُرفته بعد مُدة طويلة من الوقت، ولكن هذهِ المرة كان يتعاملُ مع الناس بكل حرص وحذر، لأنه قد علمَ طبيعتهم جيدًا...

ومع مرور الكثِير من الوقتِ، التقى حمزة بإحدى أصدقائهِ الذي كان يلعبُ معهُ في طفولته قبل وفاة والديه وهو "يوسف" فقد لاحظ الشاب اختفاء حمزة في الأشهر الماضية، ثم أخبرهُ بأنهُ لم يرهُ منذُ فترة طويلة، وبدأَ التقرب منهُ والحديثَ معهُ والاختلاط به كثيرًا، لأن الشاب كان أيضًا لم يمتلك أصدقاء وبعدها فترة من الوقت أصبحوا أصدقاء...

وقد تقبل حمزة الشاب، وبدأوا في الخروج مع بعضهم كثيرًا في هذه الأيام وقد حب حمزة صاحبهُ يوسف كثيرًا، وبدأ في الوثوق بهِ والتعاملِ معهُ كأخيه وليس صاحبه، وبعد مرور القليل من الوقت، قد انضمَ إليهم ثلاثةٌ من الشُبان الذين كانوا أصدقاء لحمزة، وكانوا السبب في اختفائه هذه المودة وهم أصدقائه الأغنية (حازم وحسن وعمر) ثم أصبحوا بعدها خمسة أصدقاء، ولم يكونوا مُخلصين لبعضهم كثيرًا ثم رجعت تلك الخروجات مُجددًا، ورجعوا يتنمرُ على الشاب مرةً أخرى؛ وكل ذلك لأجل أنهم لم يحبوا حمزة كثيرًا، لأنهُ

كان أجملهم خُلقًا وشكلًا ودينًا بينما هم أموالاً فقط؛ فظلوا يلقون عليه تلك الكلمات وهو صابر ولم يحزن أمامهم، بل كانت تلك الكلمات كالصاعق الذي ينزلُ على شيء فيُدمره تمامًا؛ ولكنه قد أحبهم جميعًا، والأسواء أنه لم يعلم بأنهم لم يحِبه قط، رغم الذي كان يراه، ومع مُرور القليل من الوقت، رجع مرةً أُخرى البحث عن الفتاة...

. وفي يوم كان حمزة يحاول الدخول على تلك الصَفحة الخاصة بها، فوجدَ فيها رَابِطًا لصفحتها الجديدة وقد ذكرت بأنها فقدت تلك الصفحة القديمة، وإنها في تلك اللحظات قد اقتربت على إتمام عام جديد لها..

. فقد رأى حمزة أن تلك الصفحة لن يستطيع الدخول إليها إلا مرةً واحدة كما حدث له، فانتظر حتي يأتي هذا اليوم لكي يدخل ويخبرها مُجددًا بالذي قد أخبرها به المرةَ الماضية، ويهنئها بإتمامها العامِ الجديد...

***

. إلا أن القدر لم يكن في صالحهِ ذلك اليوم، وظل ينتظر الليلة الذي سوف يتحدثُ إليه مُجددًا، ولكن لم يحدث ذلك.. ولا في هذا اليوم ولا اليوم المُلاحق له؛ فقد أُصِيبَ عمهُ (سالم) بالتَعبِ الشَديد فجأة، فذهبَ به إلى المُستشفى، ولم يتركهُ قط؛ رغم كل ما يفعله معهُ، ولم يكن لديه الوقت للحديث معها، ومع مرور بضعة أيام، قد نسي حمزة عيدَ الميلاد ومُحدثتها من جديد، وكان كلُ ليلة

يجلس مع عمه في المُستشفى، ولم يرِا أصدقاءهُ في تلك الفترة، وإنهُ إذا غاب عنهم، لم يسأل عليه أحدًا منهم حتى يوسف، واستمر الحال على ذلك إلا أن شُفيَ عَمهُ، ورجعَ به إلى البيت مُجددًا ومعهم زوجة عمهِ الذي كان يُلقبها بالعقربة الجوعانة وابنها السيئ الذي كان ينقل لها كل أخبار البلدة، وبدأ الاهتمام بِه ومُراعاتهُ، لأنه يعلمُ جيدًا بأن زوجته لم تفعل معهُ شيئًا هكذا، وأيضًا كان ينظر من ناحية أخره بأنهُ لا يملكُ سواه، ثم تذكر بعد مرور يومٍ من رجوعه للمنزل الفتاة وعيدَ المِيلاد ، فأمسكَ هاتفهُ، وكتبَ لها:

.أنا لا أدري لماذا لا تنتظري أن أرد عليكِ في المُحادثةِ السابقة، وأنني كنتُ بحاجة إلى الحديثِ معكِ وإخُبارِكِ بكثير من الأمور التي أُرِيد أن أُخبركِ بها، ولكنك لم تستطيعي الانتظار لحظة واحدة، ولكن لم أعاتب على ما مَضى، وها أنا مُجددًا أُرِيد أن أقول لكِ (كلُ عامٍ وأنتِ بخير كل عامٍ وأنتِ الأجملُ كل عامٍ وأنتِ الأقرب إلى قلبي مني كل عامٍ وأنتِ طيبة يا عائشة) ده أولًا أما ثانيًا...

. فاعتذارِي لكِ على تأخير هذه الرسالة، أما ثالثًا، فأنا أحبكِ مُجددًا يا عائشة، ولن أستسلمَ إلا أن أراكِ وأتحدثَ معكِ عن كل شيء يدور في بالي عنك، ثم ختم رسالته قائلًا لها: مُنتظر منك رد يا أجملَ من رأت عيني....

ثم أرسل إليه الرسالة، وظل حمزة منتظر أن تُرسل إليهِ رسالة أخُرى، ولكن قد مر يومان وهي لم تفعل ذلك، ثم بدأ يسأل نفسهُ: لماذا لم ترد عليّ حتى الآن..؟ هل هي لم ترَ الرسالة؟ أما إنها رأتها، ولم تُريد الردَ عليَّ؟

وقد ظل ينتظرُ، فكان يوميًا يستيقظُ من نومه على أمل أنها قد أرسلت شيئاً ، ولكنها لم تُرسل إليه لا بعد يوم ولا أسبوع من ذلك....

فبعد مرور أكثرِ من عشرةِ أيام، والشاب لم ييأس مُجددًا من الدخول إلى صفحتها، ثم فتحها لعلهُ يَستطيعُ مُحادثتَها فوجد الفتاة قد أرسلت الرد قائله له :

(شكرًا لك يا حمزة على تلك الرسالة الجميلة، ولكن سامحني، لن أستطيعَ التحدثَ معك مُجددًا، ولن أغلق عليك هذه الصفحة، ولكن لن أردَ عليك ثانيًا، وأرجو مِنك ألا تُرسل إليّ شيئًا بعد هذه اللحظة) ثم حَزنَ على تلك الكلمات الذي كل مرة تَكسرُ قلبهُ بِها، وفرحَ بأنه سوف يعلم عنها كل شيءٍ بعد الآن بكل سهولة، ولن يحتاج إلى البحثِ على صفحاتٍ لها، ولكن هل الشاب سمعَ تلك الكلمات التي قد قالتها الفتاة، ولم يُراسلهاَ مُجددًا..؟

. فقد أصبح لم يخرُج من غُرفةِ نومهِ، ولا يترك هاتفهُ من يده، وظل يُراقب عائشة كلَ يوم، ويراها مُتصلة، ولكنه كان يخافُ أن يرسلَ إليهِ شيئًا لكي لا تُغلق الصفحةُ عنهُ ثانيًا، وجاءَ يومٌ تجرأ فيه، وأرسل إليه كيفَ حالك يا عائشة....؟

. فردت عليه بعدها بيوم كامل قائلة: ألم أخبرك بألا تُرسلَ إلي شيئًا مُجددًا..؟ فقد قالت لهُ ذلك بكل غضب بدلًا من أن تشكرهُ على سؤالهِ عليها، فقال لها إنني كلُ ليلة أُراقبكِ وأخافُ أن أرسل إليكي شيئًا فتغلقي عليّ الصفحةَ مُجددًا؛ فأخبرتهُ قائلة: طيب لماذا أرسلتُ إلي البارحة؟...: غلبني شوقي إليكِ، فلم أستطع التحكم في

مشاعري...!؛ أنا أُحبكِ ولا أُريدُ منك إلا أن أتحدثَ معكِ وأخبركِ على كل ما في قلبي لكِ، فأخبرتهُ بِكلِ قسوة.. اذهب عني لا أريدك أنا..! فنصدم بعد تلك الكلمات المؤلمة وبدأَ في مُحادثة نفسهِ من جديد:

إنني هكذا سوف أعيشُ وأموت، ولن أرى أحدًا يُحبني...

إني والله فعلتُ الكثير من أجلها، ولم أكذب عليها فلماذا لم تحبني هي أيضًا....!؟

- فحزن حُزنًا شديدًا على ما يراهُ من عائشة، فقرر الاتصال بصاحبهِ يوسف بعد فترة من الوقت وهو لم يخرج معهم ، فاتصل به وحددا موعدًا للخروج معًا، وتقابلا مرةً أخُرى، ثم عاتبه يوسف على قلة الاهتمام بنفسه، ولم يمر أكثرُ من أربعةِ أيام، ووجد رسالة من عائشة قد كتبت له بها.. (إنني أعلم أني قصوت عليك وأنت ليس لك ذنب وشأن فيما يحدثُ معي، وأتأسفُ لك على مُعاملتي معك، وأرجو منك أن تُسامحني وأن تنساني ولا تُرسل إلي رسائل مُجددًا، ولا أحتاجُ منك ردًا عليَّ ثانيًا) فقرأَ الرسالة، ولم يعلم ماذا يفعل هل يرُد عليها ويهتمُ لأمرها مُجددًا أم ينساها كما أرادت منهُ ذلك، دخل في حيرة بين أن يتركها أو أن يتمسكَ بها، ولكنهُ بعد فترة قصيرة جدًا تحدث إليها مرةً أخرى.....

قائلًا: إنني أتأسفُ علي محادثتك مَن جديد، ولكنني لدي سؤالٍ واحدٍ... فإذا أردتِ أن تجاوبي، فأنا مُستمع، وإن لم تُريدي، فأنا سوف أذهبُ ولن أرجع إليكي ثانياً؟

. فردت عليه قائلة: اسأل ما شئت...

فقال لها ما بكِ، وماذا يحدثُ معكِ..؟

فصمتت قليلًا ثم قالت لهُ إنني مُتعبة وإن الحياة تثاقلت عليّ وإنني الآن في دوامة ولا أستطيعُ الخُروجَ منها، وقد يأستُ من تحقيق حلمي، وتراكمت عليّ الكثيرُ من المصائب....

- فبدأ حمزة يُصبرها على ما أتى بها من ابتلاءات ويقول لها إنكِ أقوى من أن تقولي قد يأستُ ولن أستطيع مكملة الطريق، فإن ذلك حلمك أنتِ وبس، وذلك طريقك لوحدك وأن هذهِ معركتك مع الحياة، وأنها خاصة بكِ وحدك وليس أحد غيرك سوف يقودها بدلًا عنك. فبدأت الفتاة تتحدثُ كثيرًا مع حمزة وتحكي لهُ عن معظم مشكلاتها مع الحياة وهو مُستمعٌ إليها، ولا يَملُ من محادثتها، فنظرت الفتاة بعد عدة أيامٍ من حديثهم هذا الذي أطال أكثر من ثلاثة أيام، فوجدت نفسها تخوضُ في معركة هي لم ترغب في بدايتها، فسألت نفسها لماذا فعلت ذلك؟ وكيف صَبرت على تلك الليالي والمحادثات التي صارت بيننا؟ وأنني كنت على اعتقادٍ تام بأنني لن أفتح موضوعًا هكذا مُجددًا؛ ثم أغلقت تلك الصفحة عليه، فحينما استيقظ من فِراشهِ أمسك بهاتفهِ، وقامَ ليُحادثَ عائشة ويطمئنَ عليها وكيف صارت اليوم..؟ فوجدها قد أغلقت عليه الصفحة من جديد فبدأ يتساءل لماذا فعلت هكذا؟ ثم ظل ينتظرها مُجددًا على أملٍ أنها سوف تحادثهُ إلا أنها قد قالت لنفسها لن أسمحَ لكِ بفعلِ شيء هكذا من جديد..

فأما الشاب الذي لا علم لهُ بذلك.. فجأة قد اختفت من حياتهِ لم يعد يتحدث إليها كلَ يوم كما كان يفعل؛ مر وقتٌ طويلٌ وحمزة منتظر أن تفتح وتراسلهُ مُجددًا وبدأت الأيامُ تجري وهو يزدادُ قلقًا عليها لا يعلم ماذا حدث لها، ولا يعرف عنها أي شيء سوى هذه الصفحة المُغلقة عليه، ثم قرر في يوم من الأيام الخروج عند أحد من أصدقائهِ والخروج من المنزل، وحاول البعد عن التفكيرِ بها، ولكن القدر قد جمعهم من جديد في صدفة حينما كان ذاهبًا إلى صديقهِ يوسف الذي كان ينوي أن يزورهُ، ويجلس معه ويحادثهُ عن أحواله، ولكن القدر جمعهم في الطريق نفسه الذي كان يسيرُ به كانت عائشة أتيه منه وقد رآها، فارتبك وكانت أقدامهُ ترتعش من الخوف، وكان قلبهُ ينبضُ بسرعةٍ قسوى وهو لم يعلم ماذا أصابهُ حينما رآها، فنظر إليها رافعًا عينيهِ إلى وجهها، وكان ينظرُ لها وعيناهُ تلمعان وفيهما كلام كان يُريد أن يخبرها بهما... ولكنها رأتهُ فنظرت أسفلها حتي لا تنظر إليه، وحينما ذهبت، ظل حمزة يتساءل هل رأتني أم لا..؟

وظل يسير حتى وصل إلى منزلِ صاحبه، ثم لف ورجع قبل أن يدخلَ وتوجها إلى منزلهِ من جديد مُنتظرًا عائشة بأن تفتح، وتُحادثه...

وقد استمر في انتظارها حتى غلبهُ النُعاس، فنام ولما أستيقظ في الصباح، قام مُسرعًا وبدأ بفتح جوالهِ، ونظر إليه كي يرى هل أرسلت إليه أم لا؟ ولكنها في الحقيقة لم تُرسل أي شيء، فبعدها ببضعة أيام وهو ينتظرها ولم يحدُث ذلك قط... بدأ في الخروج من

البيت كثيرًا على أملٍ أن يلتقي بها، ولكنه لم يره ثانيًا بعد ذلك اليوم...

. فذهب إلى أصدقائه، وجلس معهم مُجددًا فيراهم مُجتمعين جميعًا، ولم يسأل عليه أحدهم حتى صاحبه يوسف الذي انضم إليهم أيضًا.

***

- وقد اقترب حمزة بأن يكمل عامًا جديدًا من حياته، فهو عامهُ التاسع عشر... ففي يومٍ من الأيام قبل يوم ميلاده، أراد أن يُخبرَ عائشة أنهُ يُريد أن يعرف لماذا اختفت من حياتهِ هكذا وهو لم يعلم عنها شيئًا، ويخبرها أن عيدَ ميلادهِ بعد يوم من الآن، فرى أنها سوف تفرحهُ وتُرسل إليهِ رسالة كما فعل معها، ففكر كيف يُرسل إليها تلك الرسالة لم يجد إلا حلًا واحدًا وهو إرسالها من على هاتف أحدٍ من أصدقائه، فبدأت الفكرة تكبرُ وتشتت لديه، وزادت الرغبة في أرسال الرسالة إليها، فأرسلها من هاتف صاحبهِ يوسف؛ فرأتها الفتاة ولم ترد عليه وقد حظرت ذلك الهاتف من جديد.. فأخذَ الشابُ يلومُ نفسهُ كثيرًا ثم بدأَ في الابتعادُ عنها من جديد إلا أنهُ كان كلما أراد الابتعاد، لم يستطع فعل ذلك من أجل صدق مشاعره.

***

فما زالت الأيامُ تَمضي وهو يفكر بها، وينتظرُ منها رسالة وهي لم تُرسل إليه شيئًا، ولم يخطر على بالها هذا الشاب؛ إلا وقد أتت عليها لحظةٌ حَست أنها قد ظلمته معها وهو لم يفعل لها أي شيء سوى أنهُ مهتم لأمرها، وبعد تلك المُعاناة التي رآها الشاب منها إلا أنهُ كان يظنها أنها سوف تُراسله منها كل ليلة، وفي ليلة من تلك الليالي التي ظل فيها مُنتظرها بأن تفتح وتُحدثه مُجددًا، ثم فوجئ أنها قد أرسلت إليه رسالة تقول بها (إنني لا أحبكَ يا حمزة، ولن أستطيع أن أكذب عليك، لأنني لا أشعرُ بأي شيء تجاهك وإن أرسلتُ إليَ رسالة أخرى بعد ذلك اليوم، فإنني سوف أخبر عمي حُسام بعد ذلك)

* فلماذا كلُ ذلك أيَتُها الفتاة، وماذا فعل لكِ الشاب سوى أنه مهتم لأمرك... هل هذا جزاؤهُ..؟

ثم قالت له بعد تلك الرسالة:

(أرجوك أن تُسامحني فيما أقولهُ لك الآن وأنني أعلمُ بأنك لم تعلم ماذا أمرُ به من فتراتِ صِعاب وأرجو منك أن تعفو عني وعن كل كلمة أخرجتها وجعلتك تتألمُ بسببي، ولكنني لا أريد أن أخطئ مرةً أخُرى، ولا أريد أن يحدث لي ما حدث من قبل)

***

فرأى حمزة الرسالة، ثم بدأَ جسدهُ بالثبات بعدها مُباشرة، ولم يستطع التحرك من مكانهِ ، ولن ينطقَ بأي شيء إلا أنهُ ظل يُردد في تلك الرسالة طوال الليل ويقول لنفسه (إنني لا أُحبك يا حمزة اذهب عني فإني لن أرِيدك) فبدأ في البكاء الشديدِ، واستمر يبكي ويبكي حتى أنهُ لم يستطع النوم وهو يفكر فيما حدث معهُ...

.كان يذكر قائلًا يا ليتني مِتُ قبل هذا اليوم وقبل سماع تلك الكلمات، وبدأ في لوم نفسهِ على وصوله لتلك المرحلة، إنني لم أفعل إليك أي شيء يُؤذي قلبك، فلماذا أنتِ فاعلة بي هكذا؟

ظل يفكر في ذلك طوال اليوم حتى سمع صوت صاحبهِ يوسف يطرق باب الغرفة التي كانت تنظرُ للشارع، ولكنهُ لم يفتح هذا الباب من قبل؛ خوفًا من عمه إلا تلك المرة التي أتى صاحبه إليه، فأخبرهُ صاحبه قائلًا:

- استيقظ يا حمزة واذهب معي إنني أرِيد أن أتحدثَ إليك بمفردنا، فلما رفض الخروج من المنزل، أخذه صاحبه من يده قائلًا لهُ إنني أنتظرُك خَمسَ دقائق خارج المنزل لكي تستيقظ، وترتدي ملابسكَ، وإن تأخرت عليَّ، فسوف أذهبُ عنك، ولن أعرفك من الآن...

خاف الشاب بأن يخسر صاحبهُ وهو بحاجة إلى أحدٍ يحتوي قلبهُ بعد كل الليالي التي قضاها مُنفردًا في الحجرة وتلك المُعاناة التي رآها من عائشة..

ثم خَرجَ حمزة مع صاحبهِ إلى مكانٍ لا يوجد به إلا هم، وبدأ يتحدث إلى صاحبهِ، ويخبرهُ عما حدثَ معه، وكان صاحبهُ يستمعُ إليه وهو يبكي ويحكي لهُ جميع ما حدث، فلما انتهى من الحَدِيث، بدأ صاحبهُ بالحديثِ معهُ، ويسألهُ هل أنت تعلم لماذا فعلت معك هكذا يا حمزة؟

قال له لم أعلم بأي شيء سوى أنها لم تحرمني هذه الكلمات المؤلمة، وقد مر على جُلوسهم أكثرُ من ساعتين لم يَنتهِ حمزة من الحديث ومن البُكاء، ولم يمل صاحبهُ من الاستماع إليهِ والعمل على تَخفيف ألمه ثم قال له إننا جميعًا بجانبك، ولن نتركك أبدًا ألم يكفك ذلك!؟

فضحك الشابُ وابتسموا معًا، فقال له: إنني أعلمُ مدى ألمك، ولكنني أعلم أيضًا أنك قوٍ يا حمزة، وتستطيع أن تتجاوز تلك الأيام، وتستطيع أن تنساها، فقد قال لهُ تلك الكلمات وهو قد سمعها منهُ ثم أخذ يعملُ بها، وبدأ في نسيان الفتاة...

***

ومع مرور يومين، خرج من بيته مُتجهًا إلى مكان وجود أصدقائه، فرآهم مُجتمعين جميعًا، ولما جلس، سمع تلك الكلمات التي تُلقى عليه منهم الذي أخبرها ليوسف، فتألم كثيرًا من هذا الحديث حتى تركهم وذهب إلى الغرفة مُجددًا....

***

ومر الكثير من الوقت على تلك المُحادثة المُؤلمة وتلك الليالي ويوم أصدقائه إلا أن حمزة كان يجلس بمفرده كعادته؛ فأتت ليلةُ الحادية عشرة من شهر أكتوبر بعد مرور أكثر من شهر على تلك الليلة، ولكن حمزة لم ينسَ ما حدث معه، بل إنهُ كان مُتذكرًا جيدًا لكل كلمة قيلت لهُ في تلك الليلة التي لم يتوقع الشاب أن شيئًا هكذا سوف يحدثُ معه..

. بعد رجوع حمزة المنزلِ وأمسك بهاتفهِ كعادات كل يوم قبل النوم، فرأى الفتاة أرسلت إليه رسالةَ اعتذارٍ على آخر مُحادثة قد حدثت بينهما، فتقبل منها الاعتذار، ولكنهُ لم يُخبر أحدًا من أصدقائه مرةً أخرى إلا وأنه قد سألها قائلًا: لماذا تفعلين معي هكذا، وأنا لم أكذب عليكِ في شيء، بل جئتُكِ بكل وضوحٍ، وأخبرتُكِ عن كل شيءٍ....؟

ردت وقالت: والله إن ربي من يعلم بي، ويعلم وما أمر به ولا أحد يعلم عني شيئًا.. فرد عليها قائلًا إنني الآن أسمعكِ أخبريني ما بكِ..؟

فقالت له: إني مُتأسفة، ولكن لن أستطيع التحدث معك بعد الآن، وبعد مرور يوم، أرسل إليها حمزة وقال لها لماذا رأيتِ رسالتي التي قد أرسلتها إليكِ يوم عيدِ مِيلَادي، ولم تقولي لي كل عامٍ وأنت بخير..؟

- فلم تعلم ماذا ترد عليه قائلة إلا أن أتى في بالها أن شيئًا واحدًا فقلت لهُ:

لو كنت أرسلتُ إليكَ تلك الرسالة، لم أنتظرك تتحدثُ معي مُجددًا، وكنت سوف أغُلق عليك المُحادثة، ولكنني لم أُرد أن أفعلها معك مرةً أخرى

بل إنني كنت مُنتظرًا مَنك تلك الرسالة...!

- ولكن الفتاة كانت أمُها تُعاني مرضًا في تلك الليالي وهي لم تقل لهُ عن ذلك، بل أخبرتهُ عن شيء آخر، ثم بدأا يتحدثان حديثًا طويلًا، وبدأَ الشابُ في الفرح بأنهُ يتحدثُ معها إلا أنها كانت تتحدثُ قليلًا، بينما هو كان صاحب الكلمات والأسئلة الكثيرة، وها قد مضت عدة أيام عليهما وهما يتحدثان وفي يوم من تلك الأيام الذين كانوا يسهران فيهما لمنتصفِ الليل بدأت عائشة بأن تثقَ في حمزة وتحكي معهُ عما يحدثُ معها، وها قد أخبرت حمزة عن مرض أمِها وعن ذلك الشاب الذي قد كسر قلبها من قبل، ولكنها لم تذكر له كثيرًا عن ذلك الموضوع وقالت لهُ: إنني كنت أفعلُ معك ذلك، لأنني كنت لا أُريد أن يحدثَ معي ما حدث سابقًا، ثم ظلا يتحدثان كل ليلة، وكانت الفتاة في غاية الاندهاش مما ترى اهتمام الشاب بها، إلا أن حمزة كان في غاية من السعادة عما يحدثُ معهُ...

قال الشابُ للفتاة إنني أرِيد أن أراكِ، فقد مضى الكثيرُ من الأشهر، ولن أراكِ فيها إلا مصادفة وأنتِ لم تنظري إلي في ذلك اليوم...

فردت عليه قائلة:

- إنني رأيتك تلك الليلة، ولكنني لم أنظر إليك، وكنت أعلمُ أنك

كنت تنظر إلي، وتنتظر مني أن أنظرَ إلى وجهك، ولكن أنا لم أفعل هذا...

- فرد عليها قائلًا لها:

ولماذا كنتِ تفعلين بي كهذا..؟

قُلت لك إنني لا أرِيد أن أدخل في علاقة مع أحدٍ مجددًا...

ثم أخبرها قائلًا: والآن تُريدي فعل هذا...؟

- لا، إنني أتحدثُ معك الآن لأخبرك عما يحدثُ لي في حياتي لأجل أن تعذرني، وأنني سوف أغُلق الصفحة من بعد الآن، ولم أتحدث إليك مرةً أخرى...

***

فبدأ قلب الشاب ينبضُ بسرعة، وبدأ بالقول لها:

- إنني لن أستطيعَ العيش من دونك يا عائشة، إنني قد تعودتُ مُحادثة كلِ ليلة، ثم إني تعودت وجودك جنبي...

- فقالت لهُ: إنني أتأسفُ لك، ولكنني لن أستطيع فعلَ ذلك مجددًا، وأرجو منك أن تدعو لي ولأمي بالشفاءِ.

- فلم يعلم ماذا يقول لها...؟!

إلا أنه رد: افعلي ما تريدي وأن الله معي، ولن يتركني وأنني لن أنساكِ في دعائي....

فأخبرتهُ قائلة: أستودعك عند الله.

ثم نظر إلى هاتفه وهو يقول في نفسهِ لا تتركيني. ولكنها قد غادرت المُحادثة، وقد أغلقت الصفحة مُجددًا، وظل الشاب يتذكرها كلَ ليلة، ويقرأ تلك المُحادثة يوميًا إلا أن بعد ذلك العناء الذي رآهُ الشاب، إلا أنه لم يمحُها من ذاكرة هاتفه ، فظل يحتفظ بها ، وبعد أن مر أكثر من سبعة أيام على ذلك أراد الشابُ الاهتمام بدراستهِ، وبدأ في الخروج إلى الجامعة مُجددًا، ومع مرور أسبوع كامل، لا يعلمُ حمزة عن الفتاة شيئًا، وظل يقرأ المحادثة كلَ ليلة إلا وأن الفتاة كانت لا تستطيع إمضاءَ ليلة دون التفكير في حمزة...!

***

. قد لمست تلك الليالي قلبها، وقد حركت مشاعرها من جديد، ولكن الفتاة كانت قوية من بعد الذي حدث لها من الشاب، واستطاعت التحكم في مشاعرها جيدًا، إلا وأنها تعلمُ أن حمزة ليس له ذنب، فيما حدثَ معها سابقًا، وقد أتى عليها ليلةٌ وهي جالسة تُفكر بأن تتحدثَ معه مُجددًا وهو كذلك كان يفكرُ بها تلك الليلة، وكان ينوي الخروجَ ناحية مَنزلها لعلهُ يراها وقد أخذ حمزة القرار في ذلك وها هو خارج من بيتهِ إلا وأنه رأى رسالة مُرسلة منها تقول لهُ بها..

. ماذا تفعلُ الآن يا حمزة...!

فرد عليها مُسرعًا إنني الآن كنت أفكر بكِ وكنت مُتوجهًا إلى اتجاهِ مَنزلك لعلي أراكِ خارج المنزل الآن...

- فردت عليه وقالت: إنني لم أخرج من المنزل منذُ فترة طويلة

بسبب مرض أُمي..

- ثم قالت لهُ ماذا تفعلُ الآن من جديد..؟

- فرد عليها بِكُل حب إنني لن أفعلَ شيئًا سوى أنني أنتظرك كل ليلة، ففرحت عائشة من اهتمامهِ بها، وبدأت تُصدق بأنهُ يحبها حقًا، فبدأا يتحدثان معًا، ويضحكان معًا طوال الليل، ويتبادلان الأسئلة والأجوبة بينهما، وتتبادلان الضحكات إلا وأن تُفاجئ حمزة بأن الفتاة قد أرسلت إليهِ مقطعًا صوتيًا بصوتها...

وأنهُ كان في أشد الفرحة بذلك، ولكن لن يعلمَ ماذا يردُ عليها قائلًا؟

- إلا أنها قالت له أنا أثق بك يا حمزة فلا تخيب ظني بك، وتخبر أحدًا عن تلك المحادثات التي تدور بيننا. -- قال لها: إني أوعدك بذلك...

ولكن لم يُخبرها عن أصدقائه الذين قد علموا بكل شيء، ولم يُرد فعلَ هذا، لأنه قد خاف أن يخسرها، حينما تعلمُ بشيء هكذا، وبالتحديد في تلك الأيام الجميلة التي كان يعيشها....

من كثرة جمال تلك الليالي كان يقول لنفسه إنني الآن أعيشُ أجمل أيام حياتي، وإني أدعو الله ألا يحرمني تلك الليالي مُجددًا.

- ثم بدأت الفتاة بأن تثق أكثر في حمزة، وتحكي معهُ في أمورِها الخاصة وهو مُستمعُ إليها لا يقطعها في المحادثة وبدأوا يعيشون أجمل أيام حياتهم، إلا أن عائشة كانت لديها رأي آخر في تلك الأيام.. فأتى في باله أن يسألها عن شيء ما، ثم تحدث لها قائلًا ماذا أعني لكِ

يا عائشة...؟

. فردت عليه وقالت لهُ إنني أراك أكثرَ من أخٍ لي يا حمزة.

ثم صمتا برهة من الوقت، وأخبرها بكل حزن...-

إنك لا تريني إلا أخًا فقط..؟

فقالت له: أكثرُ من ذلك أيضًا، إنني أراك صديقي المُقرب...

ثم انصدم الشاب، ولم يعلم ماذا يردُ قائلًا لها إلا أنهُ قد انقطع عن الحديث، وظل يفكر في تلك الكلمات، والدموع تتساقط من عينيه، ولا أحد يعلمُ ما يمرُ به من عناء الحُب وشقائه، فقد صدق الذي قال إن الحُب لعنة..! بينما الحُب من طرفٍ واحد فهو الشقاء...

- ثم بدأ في الابتعاد عن الفتاة وعن تلك المُعاناة التي يراها، وبعد فترة طويلة قد مضت وهم مُتفارقين، ولم يُرد الحديث معها ثانية إلا وأن القدر كان لديه دور في هذه الأيام..

ففي يومٍ قد سمع حمزة مُؤذن المسجد الذي هو بجواره يُنادي على جنازة، وها هو قد سمعَ اسم والد عائشة قد توفي..!

فارتبك وامتلأهُ القلق، وخاف على الفتاة بأن يُصيبها شيء من الأذى عن سماع ذلك الخبر، وقد أثبت ذلك بأنها ما زالت بداخله، ولم تُغادر، فدخل مُسرعًا على الصفحة، وأرسل إليها، ولكن هي لم ترَ الرسالة إلا بعد يوم من إرسالها وهو ظل ينتظرها...

***

فلما فتحت ورأتها كانت تبكي، وكانت تعاني كثيرًا ألم الفقدان، وأنه والدها الذي تفتقدهُ وليس شخصًا آخر، وهو ظل يقفُ بجانبها في تلك الفترة، ولم يتركها، وكان يُصبرها على فراقهِ لها، ويتحدثُ معها، ويحاول تخفيف ألمِها، ويفعلُ كل ذلك لأجل أن تنسى ما قد حدث. ولكنها ما زالت تبكي على والدها، ولم يتركها حتى مر عليها عشرةُ أيام على وفاته، وأنها استطاعت تقبل فكرة الفقدان الأبدي بسرعة واعتقادها بأن حزنها عليه لم يرجعه لها من جديد...

ورجعت إلى الحياة من جديد،

. لم تُكمل اليومين من هذا وقد أخبرتهُ قائلة:

(إني أودُ أن أشكرك يا حمزة على كلِ شيء فعلتهُ لأجلي، وإنني لم أرَ في حياتي شخصًا مثلك، وإن كان لي أخًا، لما فعل معي نصف الذي فعلتهُ أنت، وأود شُكرك مُجددًا).

***

. ثم سمع الشاب تلك الكلمات، وصمت مُجددًا، ولم يتحدث، حتى أنهُ قد أغلق هاتفهُ ونام، ولما استيقظ في الصباح...

سألها: كيف حالك اليوم..؟

. فردت: الحمد لله بخير

. أرجو منك أن تهتمي بنفسكِ كثيرًا يا عائشة..!

ثم أغلق الشات، وبدأ يبتعد من جديد، ولم يُرد أن يخبرها بذلك....

. قد مر على وفاة والدها أكثر من شهر، وتقبلت عائشة فكرةَ

الفراق، واقتنعت تمامًا بقضاء الله وقدره....

ثم بدأت الاهتمام مرةً أخرى بدراستها، وأما الشاب، فأرد بأن يختبرها في شيء ما، وهو أنهُ سوف يغيب فترة ويراها هل سوف تُرسل إليهِ وتسأل عليه أم لا..؟ فبدأ في تطبيق ذلك، ولم يدخل ويُحادثها بعد أن أخبرها أنهُ سوف يغلق المُحادثة الآن، ويتحدثُ معها في وقت لاحق، ثم مر ثلاثةُ أيام وهي لم تعلم عنه شيئًا، ولم تُراسله أيضًا..

. ثم أيقن حمزة بأنه إن لم يُرسل إليها هو.. هي لم تفعل ذلك قط....

ثم بعد مرور تلك الأيام التي ما زال كُل يوم يقضيها يُعاني كثيرًا، فقد قرر أن يُعاتبها ويسألها عن عدم اهتمامها به..!

ثم قال لها:

إنكِ قد تعلميني جيدًا أنني قد مر علي ثلاثة أيام وأنا لستُ موجودًا لماذا لم تسألي عني يا عائشة.؟

. فلم ترد عليه إلا وقد قالت لهُ عادي...

. ثم رد الشابُ وهو يكتمُ بداخله غضبه قائلًا لها وما معنى عادي هذه...!

ولم يسألها ولو لمرة واحدة عن كل تلك التضحيات التي فعلها لأجلها وهي لم تتعامل معه إلا أخًا وتعاملهُ بكل قسوة..!؟

- لم يهدأ حمزة في هذه الليلة إلا وأنه أخبرها ذلك السؤال من جديد وهو في كامل حزنه وانكساره....

ماذا أعني لكِ يا عائشة....؟

فصمتت قليلًا، ولم تنطق بشيء ثم أخبرها بكل غضب كيف تريني أمامك يا ست الحسن والجمال...؟-

- فقالت لهُ بكل خوف وكان قلبها ينبض سريعًا بلعنة الحب والكبرياء وقد اقترب على الانفجار منها...:

فأخبرتهُ عما يُريد أن يسمعهُ وقالت له:

***(شخص عادي)))*....!**

إني أراك شخصًا عاديًّا لي يا حمزة...

- بعد سماع هذه الكلمة لم ينطق شيئًا، وظل جالسًا، ولم يستطع التحرك، وأغلق هاتفه، وظل يبكي وحيدًا، بعد كل تلك المُعاناة وكل ذلك الوقت الذي قد أضاعَه من أجلها، وقلة اهتمامه بنفسه وبعد كلِ ذلك تخبره بأنهُ شخص عادي لها، ولم يعلم ماذا يحدثُ معهُ سوى أنه قد تمنى أنهُ يكون مُجرد حلم وليست حقيقة، ولكن للأسف إنهُ قد حدث ما حدث، وقد أخبرت الفتاة الشاب بما يُريد سماعه، وأغلق هاتفه بعدها، ولم ينتظر منها باقي الرسالة...!؟ فقد كان في أشد الحاجة إلى الحديثِ مع شخص ما وأحدٍ يحتوي قلبه، إذا كان من أصدقائهِ أو من عائلتهِ، ولكن لم يجد أحدًا....

قد انِكسر وقد تحطم قلبه بالكامل بعد تلك الكلمات، فلما رأى الشاب أنهُ ليس لديه أحد يهتم به من عائلته، ذهب إلى الخارج في الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وظل يمشي وحدهُ وسط ظلام الليل الدامس، ثم فكر بأنه يذهب إلى أحدٍ من أصدقائهِ؟!

بدأ بالذهاب إلى صديقهِ " يوسف" فقد اتجه إلى بيته وطرق الباب عليه، وحينما فتح له صاحبه ونظر إلى حالته التي كانت متدهورة تمامًا، ثم بدأ يوسف بالحديث قائلًا:

لماذا لم تعد تجلسُ معنا يا حمزة...؟

- ثم تحدث حمزة وقال لصاحبه، لا عليك بالحديث الآن إنني أعلمُ أنني قد أخطأت في إهمالكم كثيرًا، ولكني قد علمتُ خطئي وأنا الآن بحاجة إلى الحديثِ معك، هل تستطيع الخروج معي..؟

- لن أستطيع يا صاحبي إن أبي سوف يمنعني من هذا

- فرد حمزة:

- اجعلني أدخل إليه، وأتحدثُ معه لعله يرضى بذلك..

- ثم بدأ يوسف يتهرب منه، وظل يعطيه مبررات كاذبة، لأنه لن يُريد الخروج معه ومصاحبته مرةً أخرى...

فتحرك في شوارع البلدة بمفرده، وكان الظلام يَعُّم المكان، ولن يعلم أين يذهب الشاب ثم وجد نفسهُ يتجهُ مباشرة إلى منزل صاحبه (عمر).

- ولما وصل إمام المنزل، فأراد أن يطرق عليه وأيضًا لم يرد أن يفعل ذلك مجددًا؛ خوفًا أن يحدث كما حدث مع يوسف

- فطرق الباب، وفتح له العم (زين) والد عمر، ولما أخبرهُ عن عمر قد قال له:

إنهُ يجلسُ في غرفته اذهب إليه في الطابق العلوي، اطلع على هذه الدرجات الخشبية التي أمامك ، فسوف تجد على يسارك باب

حجرته أطرق عليه....

فطلع لأعلى، ولكنه ظل يطرق الباب، ولم يرد عليه صاحبه، فنزل الشاب، وألقى السلام على والده، وخرج من المنزل....

- ظل يمشي وحيدًا في شوارع البلدة مُجدداً، وأراد الذهاب إلى بقية أصدقائه، ولكنه قد رأى أنهم لم يرغبوا بوجوده كما فعلت عائشة، فذهب إلى منزل عمه وهو في كامل انكساره وقلبه قد امتلأ بالحزن، وأراد الجلوس بمفرده لكي يبكي وقد أخذ قرارًا بأنه لن يخرج من حجرته مُجددًا إلا على قبره، ولكن ربنا -سبحانه وتعالى- دائمًا لديه تدبيرات أخرى غير التي نضعها بأنفسنا وهي التي تصبحُ خيرًا لنا دائمًا...!

"سبحانهُ ربي رب العرش العظيم،"

فلما ذهب إلى المنزل، وجد أن عمه قد أغلق عليه الباب وأنه الآن لن يستطيع الدخول سوى في الصباح حينما يستيقظ، وأنه إن طرق الباب عليه الآن، فسوف يغضبُ عليه كعادته، وحمزة كان يخشى فعل ذلك،

فقد اقتربت صلاة الفجر وقد كانت الساعة الثالثة منتصف الليل، فذهب مُتجهًا إلى المسجد، وظل ينتظر أمامهُ حتى يأتي موعد الصلاة، ويُفتح المسجد..

فلما أتى الحج " خالد " المسؤول عن فتح المسجد وإغلاقه، فنظر ووجد حمزة يجلسُ بمفرده على درجات السلم، فقال لهُ:

ما يُجلسك هنا بمفردك يا بني...؟

.قد أغلق عمي عليّ البيت، ولن أستطيع الدخول إلا في الصباح، دعني أدخل أصلي معكم الآن واتركني أنامُ هنا حتى يأتي الصباح يا عم خالد...

.فمد لهُ ذراعهُ، وأمسك به ثم دخل إلى المسجد

فلما أتت الصلاة، ودخل الشاب يتوضأ ويُصلي صلاته، وينتظر حتى أقيمت الصلاة، ولم يجد حمزة أحدًا في المسجد إلا هو واثنين من رجال البلدة غير العم خالد، ثم قدمهُ الحج خالد إلى الصلاة بهم، فقد خشى الشاب أن يخطئ وهو يتلو كلام ربه، ولكنهُ قد انتهى من الصلاة، ثم رفع يديه نحو السماء، وبدأ مُتحدثًا مع الله ويقول بكل خشوع عجيب وبكاءٍ شديد، بعد أن تركهُ أولئك البشر، وغادروا المسجد:

(إلهي، وجئتُكَ مُنكسرًا، فأنت بي رحيم؛ إلهي جئتُ إليك وأنا في أشدِ الحاجةِ للحديثِ معك، إنني لم أجد أحنَ ولا أرحمَ ولا أكرم منك ولا أكثر منك عدلًا يا الله؛ جئتك مظلومًا، فخذ بيدي وانصرني وجئتك مُنكسرًا فاجبُر بخاطري؛ جئتك يتيمًا وليس لدي سواك أبًا فنجني يا مولاي إنني الآن بين يديك وأرجو منك مساعدتك، فليس لي سواك أبًا فلا تتركني كما عبادك تركوني يا الله)

ثم أراح جسده في المسجد، فرفع وجههُ إلى الأعلى وقد وجد أنه الآن في استعداد لإقامة حربٍ بينهُ وبين دنياه..

وهو المُقاتل والمسؤول الوحيد فيها ولا أحد يقف بجانبه، فقد فكر في الخروج من هذه البلدة التي يسكنُ بها، ويبعد عن كل من يعرفه، أراد عيش حياة سعيدة بعرقه وتعبه من بعد الآن.....

فقرر الابتعاد كثيرًا عن تلك الأرض التي كان يطلق عليها (أرض النفاق) من قبل، فظل يفكر في ذلك وهو ينام في المسجد حتى أخذ قرار مغادرة البلدة الآن....

. ترك المسجد، وذهب مُتجهًا لبيت عمه، وطرق الباب بقوة، فلما فتح لهُ قبل أن يتحادث إليه ذلك الرجل مُسمر الوجه ضخم الجسد طويل القامة أحمق المُعاملة، سريع الغضب هذا عمه؛ وقبل أن يتحدث إليه بصوتٍ عالٍ، دخل إلى غرفته مُسرعًا، وأغلق خلفه الباب، وظل عمه يلقي عليه الكلمات من الخارج وهو ليس مهتمًا بذلك لأجل اهتمامه بجمع أغراضه وترك المكان الآن..

. جمع حمزة جميع أغراضهِ وملابسهِ، ثم فتح الباب، وذهب لعمهِ، وأخبرهُ قائلًا:

إنني ذاهبٌ إلى صديقٍ لي في مكانٍ بعيدٍ عن هنا، ولم أدريِ هل أرجع مُجددًا أم لا

فقال لهُ: يوم الفرج، أخيرًا

فحزن الشاب، وترك المكان وذهب للخارج، ولم يمتلك في جيبه أيًا من أموال، فلما وجد أنهُ لم يرَي في حياتهِ أحدًا يقف بجانبه

ولا يحبه، وقد تثاقلت عليه الهموم والمتاعب، فترك المنزل، وخرج على الطريق وهو يحمل أثقاله على ظهره ويقول إن الله معي، ولن يتركني كما تركني الجميع؛ ومع كل ذلك، ذهب الشاب وهو لم يعلم إلى أين يذهب..؟ وليس لديه مال للذهاب إلى أي مكانٍ آخر، فظل يفكر ماذا يفعل الآن

سوى أنهُ ظل يسير في ظلام الليل بمفرده؛ حتى خرج من البلدة، وتوجه إلى بلدة أخرى بجوارهم؛ فقد ظل يتحركُ في سكون الليل وهو حامل تلك الأغراض خاصته إلا أنهُ رأى أمامهُ رجلًا مُسنًا يسندُ جسدهُ على عصاه خشبية، وتنزلُ لحيته البيضاء على هذه العصا، ويرتدي ثوبًا قديمًا، ولكن وجههُ كان مُضيئًا جدًا، وكان العجوز يجلسُ أمام باب المسجد؛ رآه فوقف وقال لهُ:

.ألم تعلم بأي أحد من سكان هذه البلدة يُعطيني مبلغًا من المال حتى أستطيع الذهاب من ذلك المكان..؟ فنظر إليه العجوز بدهشة ثم قال له:

أتطلبُ من الخلق ولا تطلبُ من ربِ الخلق يا بني..! فنظر حمزة إليه ووجهه قد امتلأ بالدهشة والتعجب من كلام هذا المُسن...؟

ثم أخبرهُ العجوز قائلًا: لن أقول لك سوى كلمتين يا بُنى وأتمنى أن تفهمها جيدًا

إن الله يقول يبني في كتابه المجيد " إن مع العسر يسرا " هكذا الله دوماً يُعلمني الصبر في معظم أياته ، وإن كانت لك حاجه عند

احدٍ من البشر أتركها لله ....

. نزلت دموع الشاب، ثم أخبرهُ بكل حزن:

. أن الله معي، ولن يترك عبدهُ اليتيم..

فترك العجوز وذهب لكي يُكمل طريقه، فسمع صوتًا يأتي من ورائه إذا به الرجل المُسن قد قال له ما أخرجك من بيتك في هذا الوقت يا بُني..؟

. فوقف الشاب ورد عليه قائلًا: وما يُجلسك أنت هُنا أليس لك منزل تجلسُ به...!؟

فقال له:

. بل والله لدي

. أما لديك منزل إذًا، فما يُجلسك هنا..؟

فرد المُسن قائلًا: تعال يا بُني نجلس هُناك وأخبرك ولكن ماذا عن اسمك أنت يا ولدي..؟

. حمزة وأبي (مصطفى) رحمهُ الله، وماذا عن اسمك أنت..؟

. الحج صالح أبو محمود الأحمدي

. فذهب سوى إمام المسجد، وبدأ العجوز مُتحدثًا:

إنني يا بني لم أجلس في مكانٍ ما وأستقر، كل يوم يمر علي أتنقل على هذه العصا من مسجد لآخر

وكل ذلك بسبب ابني محمود هو في عامه الثلاثين وقد صرفتُ عليه كل ما أملك لأجل تعليمه وزواجه ولكن زوجته كانت السبب

بيني وبينه

. في ذات ليلة، كنت أجلس في حجرتي وقد دخلت علي زوجته ومعها الكثير من الطعام، وهذا كان غريبًا منها وهو لم يكن في المنزل هذه الليلة...

إنها لم تُحب وجودي معهم في البيت، وكانت كل يوم تتعارك معي من أجل ترك منزلي والذهاب للخارج، وابني كان يعلم، ولكنهُ لم يستطع التحكم بها...

ولكن في ذلك اليوم قد أتت وتحمل الطعام لي وقد جثت على ركبتيها أمامي وقد اعتذرت لي على كل ما فعلتهُ معي وقالت إنها لن تفعلَ شيئًا معي هكذا من جديد؛ ولكن من طيبتي، لم أعلم بخبث نيتها إلا في الصباح حينما استيقظت ووجدتُ نفسي أنام في الشارع، والناس تقف وتنظر إليَّ وأنا لم أعلم ما الذي حدث لي سوى أنني تذكرتها حينما أتت لي بالطعام وقد أكلتهُ من هُنا ثم استيقظت ووجدت نفسي في مكانٍ آخر غير مكاني وغير بلدتي، ولما نظرت بجانبي، ووجدت أغراضي، فلم أستطع الذهاب إلى البيت من جديد بعد الذي حدث....

وها هي قصتي يا بُني..

. وحتى الآن لم أعلم أي شيء عن محمود وقد مر علي شهر متكامل وأنا أتنقلُ من مكان لمكانٍ آخر

رد حمزة قائلًا: لا عليك يا أبتي، ولا تحزن إن الله معي ومعك...

. فقال العجوز: وما بك أنت يا بُني وما الذي يُخرجك في هذا

الوقت..؟

فبدأ الشاب يحكي له عن كل شيء حدث معهُ من بداية وفاة والديه وعن الفتاة وأصدقائه الذين لم يحبهُ أحدٌ منهم وظلم عمهُ له، فقد سمع العجوز ما حدث للشاب وقد بكى بكاءً شديدًا عليه وعلى ما يراها في هذه الحياة من ظلم وقال بصوتٍ منخفض كأنهُ يهمس لنفسه {أيتها الفانية، ما الذي يحدث...!}

. ثم قال حمزة للعجوز:

. هل تأذن لي بالنوم بجانبك حتى الصباح...؟

فقال لهُ:

لا تستأذن مني يا بُني، فإني عبد ضعيف لا حيلة لي من دون الله؛ اجلس مكان ما تشاء هذه بيتُ الله...

. فنام حمزة بجانب المسجد حتى استيقظ في الصباح على صوت أذان الضهر، فنهض ودخل إلى المسجد مع العجوز، وتوضأ وصلوا معًا حتى انتهى من صلاته، وأخبر الرجل بأنهُ سوف يذهب لكي يستطيع إحضار لهُ الطعام والرجوع إليه سريعًا وترك معهُ أغراضه، وذهب..

. فلما ذهب، ظل يسأل الناس عن بيت محمود ابن الرجلِ المُسن، وكلما يسأل أحدًا يقول له لا أعلم عنهُ شيئًا؛ وظل يبحثُ، وترك العجوز بمفرده إلا وأنه ظل ينتقل من بلدة لبلدة إلا أن سمع أذان العصر، فدخل المسجد، وصلى العصر حاضرًا، ولما انتهى، سأل الإمامَ عن العجوز صالح، فلم يعلم الإمامُ عنه شيئًا إلا وأنه قد

سمع رجلًا يجالس في المسجد حمزة وهو يتحدثُ عن العجوز الذي يُدعى صالح وعن محمود ابنه، فذهب إليه مُسرعًا وقال له هل تقصد محمود ابن الحج صالح الأحمدي...!

فقال أجل، إنني أبحثُ عنهُ هل تعلم أين أجده..؟

قال لهُ:

إنني أستطيع أن أوصلك إلى باب منزله...

فقال لهُ حمزة:

.خذني إليه الآن..

فتركوا المسجد، وذهبوا مُتجهين إلى بيت الحج صالح حتى وصل إلى هُناك، وطرق عليه الباب، ولكنهُ لم يجد أي رد من الداخل، فلما سأل حمزة هذا الرجل قائلًا:

ألم تكن زوجة محمود في الداخل، فلِمَ لا تُرد علينا..؟

.أخبرهُ الرجل:

أن محمود قد طلق زوجته، حينما علم بالذي فعلتهُ بوالده وهو الآن يبحث عنه كل ليلة، ولا يرجعُ إلى المنزل إلى بعد مُنتصف الليل...

.فقال حمزة للرجل: إنني سوف أنتظرهُ هنا إلى أن يرجع؛ اذهب أنت وجزاك الله خيرًا..

فتركهُ الرجل وذهب وجلس الشاب ينتظر محمود أن يرجع أمام ذلك المنزل الكبير الذي يُشبه كثيرًا للقصر في كبر حجمه وأصواره

العالية

. حتى أتت الساعة العاشرة مساءً ورأى سيارة ضخمة تتجه نحوه، وأنار في وجهه أضاءت الكشاف الأمامي لها، ونزل منها شاب طويل القامة يرتدي معطفًا يبان عليه غلو سعره، ولكن وجهه يظهر عليه الحُزن كثيرًا وجسدهُ معتدل تمامًا، وكان يظهر عليه التعبُ الشديد، فاتجه ذلك الرجل عند بيت المنزل، وأخرج من جيبه مفتاحًا لكي يفتح تلك البوابة، ويدخل سيارتهُ داخلها، فذهب إليه حمزة مُسرعًا وقال لهُ:

.أأنت محمود...؟

.أنا محمود من أنت..؟

.أنني أعلم مكان والدك ممكن تذهب معي الآن إليه وأنهُ الآن في أشدِ الحاجة إليك...

. فقد قال محمود ووجهه مليء بالسعادة والفرح بعد أن كان يظهر عليه التعب والإعياء الشديد:

هيا بنا إلى هُناك، فأخذ السيارة وذهبوا إليه...

. فركب حمزة، وذهب معهُ عند والده أمام المسجد، وحينما رأى محمود والده وما قد وصل إليه من حاله من التدهور الجسدي وفقدان وزنه في ذلك الشهر الذي ترك فيه المنزل، وغادر...

فبكى الشاب على والده، وذهب إليه مُسرعًا، واحتضنه وهو ما زال يبكي كالأطفال ثم جثا تحت أقدامه وقال له سامحني يا أبي على ما حدث لك بسببي...؟ ثم احتضنتهُ العجوز وقال لهُ قد سامحتك

يا بُني؛ إنني أعلمُ أنك لستُ مخطئ في شيء..

. فقال الشاب لوالده إنني قد طلقته يا أبتي منذ أن علمت بالذي فعلتهُ معك...

فقال محمود لأولاده: أليس يكفي هكذا ونذهب للمنزل أنني مُشتاقك كثيرًا...!؟

قال له العجوز:

إنني مُشتاق إليك أيضًا يا بني...

. ثم تكلم حمزة وقال لهم: إنني أستطيع الذهاب الآن وأنا في كافة اطمئناني عليك يا عم صالح مع محمود..

. فتحدث إليه العجوز قائلًا:

إنك سوف تعيش معنا بعد الآن يا بني، ولن أتركك بمفردك مُجددًا...

. قال حمزة لهُ:

إنني أعلم أنك والله لأكرمُ الناس ومن أحسنهم خُلقًا، ولكنني لن أرضى بالعيش مرةً أخرى في منزل إلا منزلي بإذن الله من بعد الآن وإنني لدي الكثير من الأحلام التي أريد تحقيقها، فادعِي لي أنت ولا أرِيد شيئًا منك سوى هذا....

. رد عليه العجوز قائلًا: إلى أين تذهب أنت الآن يا بُني؟

فقال الشاب:

إن أرض الله واسعة وإنني سوف أذهب إلى المدينة لكي أعملَ

هُناك.

. فقال العجوز لابنهِ:

أعطني كل ما لديك من مال، فأعطاهُ الشاب المال، فلما أخذهم منه قال الرجل لحمزة:

. خذ مني هذه الأموال يا بني ومحمود سوف يأخذك بالسيارة إلى المكان الذي تذهب إليه...

. فخجل حمزة بأن يرفضه، فأخذهم منه وقال له شكرًا لك يا عم صالح على هذا...

. فذهب الشاب ومعه محمود، وظلا يتحادثان طوال الطريق، وطال بهما الوقت حتى مرت أكثر من ساعتين وهم يسيرون، ولم يُريد حمزة أن يجعل محمود يتعبُ معه، وأراد النزول في أقرب مكانٍ يقابله لكي يرجعَ محمود إلى أبيه...

إلا وأنهم قد دخلوا إلى المدينة الذي كان ينوي الذهاب إليها، التي توجد بها الكثير من المباني المرتفعة والبحار وتلك المناظر الجميلة التي لم يرها من قبل في بلدته وكثير من الشركات والمصانع والمِساحات الخضر الكبيرة..

. فأخبرهُ حمزة بأن يوقِف السيارة هُنا لكي ينزل..

فرد عليه محمود قائلًا:

هل لك أحد هُنا من عائلتك يا حمزة...؟

فكذب عليه الشاب وقال نعم، أبي وأمي هنا سوف أذهب إليهما وهما قد وجدا لي عملًا هُنا...

. لا عليك أنت يا محمود أنزلني هنا، واذهب أنت إلي والدك وبلغهُ سلامتي...

***

فترك محمود الشاب وقبل أن يغادر أخبرهُ قائلًا:

. هل تعلمُ أنني الآن في أكثر الأيام فرحًا إلي، وكل ذلك بفضل ربنا -سبحانهُ وتعالى- الذي جعلك تلتقي أبي، وتبحث عن مكاني، فقد جعلتني ألتقي أبي من جديد بعد الذي حدث معهُ من زوجتي الله يحرقها، وأود شكرك يا حمزة على ما فعلتهُ معي ومع أبي، فاحتضنه وقال له في رعاية الله يا صاحبي...

. ثم ذهب وترك حمزة في منتصف هذه البلدة، ولم يعلم أين يذهب، يمينًا أم يسارًا؛ للأمام أم للخلف إلا وأنهُ قد تحرك لكي يمر الطريق ويذهب إلى الجنب الآخر من الشارع الذي يقفُ به، ثم مر بسلام وقال لنفسهِ الآن قد مررت ماذا أفعل بعدها؛ فحتار أين يذهب إلا أنهُ رفع رأسهُ إلى السماء وقال بصوتٍ عال يا مُغيث أغثني....

. فلم ينتهِ من قولها إلا وأن أتت سيارة من خلفه، فخبَطته ووقع الشاب على الأرض، ولم يدريِ بشيء، ولكنها كانت خبطة خفيفة من صاحب هذه السيارة،

فنزل الذي يقودها وقد كان شابًا وسيمًا جدًا طويل القامة، شعرهُ يُشبه لضوء الشمس في لونهِ الأصغر، عيناه اللذان كانتا تلمعان كثيرًا من لونهما الأسود، ولكنهُ يرتدي أمامه تلك النظارة دائرية

العدسات، وبشرته بيضاء جدًا كأنها لم ترَ الشمس قط..

.ذلك الشاب أول ما رأى حمزة يقع على الأرض نزل إليه مُسرعًا، ورفعه إلى السيارة، وحمل أغراضهُ أيضًا وهو يقول لهُ: لا تقلق سوف أذهبُ بك إلى أفضل المُستشفيات وبإذن الله سوف يكون كل شيء على ما يرام، لن أتركك بمفردك لا تخف....

.حينما وصل إلى هُناك، ذهب مُسرعًا إلى الداخل، وأخبرهم أنهُ لديه حالة حرجة، فأتوا إليه المُمرضات لكي يحملوهُ إلى غرفة الطبيب فورًا، فحقًا قد أتوا، ولما دخلوا به، انتظروهُ في الخارج حتى يخرج لهُ الطبيب، ويخبرهُ عما أصاب الفتا...

.ثم بعد لحظاتٍ قليلة جاء إليه الطبيب، وأخبرهُ:

أن الشاب قد أصُيب بكسر في إحدى قدميه، فخاف الشابُ كثيرًا، وأخرج هاتفهُ وأجرى عملية اتصال لوالده، وأخبرهُ عما حدث معه...

وقال له والده:

لا تقلق إنني الآن سوف آتي إليك، ولكنك أنت كن بخير، ولم تخف من أي شيء...

فقد أنهى الشابُ المُكالمة مع والده، فنظر خلفهُ، فوجد الضابط يُنادي عليه؛ فذهب إليه وكانت قدماه ترتعشان ووجهه الأبيض هذا محمر من خوفهِ وزعره منه بأن يسألهُ عن الشاب وما حدث معهُ، وأنهُ في أثناء قيدته للسيارة كان يتحدثُ إلى هاتفه..

.فقال الضابط لهُ: أنت من خبط الشاب بسيارتك.؟

. فصمت قليلًا، ثم قال له: نعم... أنا السائق..

فسمع صوتًا يأتي من خلفهِ، فنظر إليه، فوجد أنهُ والدهُ..

. رجل طويل القامة وكثير الهيبة وضخم الجسد يرتدي بذلة سوداء مع لون شعرهِ الأبيض الذي يدل على كبر سنه وبشرتهُ الخمرية، فدخل عليه المُستشفى، فرأى ابنه يقف مع الضابط في الممر، ثم نادى عليه باسمه، فسمعهُ الشاب فرقدا إليه سريعًا، وأخبره عما حدث للشاب، وأخبرهُ أيضًا عن الضابط فقال له: لا تقلق، سوف يكون كل شيء على ما يرام...

. ثم انتظر الضابط الشاب، حينما يستيقظ من وعيه، وظل يقفُ مع الشاب ووالده في الخارج إلا أن أتت المُمرضة إليهم وقد أخبرت الضابط بأن المريض قد فاق، فدخل الضابط ومعه الشاب والرجل إلى الداخل، وسأل حمزة قال لهُ ما اسمك يا فتى..؟

. فرد حمزة وقال لهُ...

. (حمزة مُصطفى)

فسأله أين عائلتك...؟

. ليس لدي عائلة سوى عمي وقد هربتُ منه إلى هُنا من سوء معاملتهِ لي...

. فنصدموا جميعًا من هذا الحديث، ولم يصدق البعض، لأن في هذا المكان لم يوجد به أحد دون عائلة كلهم هُنا أغنياء إلا العمال الذين تركوا بلادهم من أجل البحث عن وظيفة، وقد كذبَ الضابط الشاب في أول لحظاتٍ لهُ؛ إلا وقد قال له إلى أين كنت أنت ذاهبًا

وتحمل هذه الأغراض الذي وجدوها بجانبك..؟

. فقال لهُ الشاب:

إنني تركتُ بلدتي، وأتيت إلى هُنا لكي أستطيع الحصول على عمل، ولكن أراد الله أن يحدث لي هذا، وتنكسرُ قدمي، فالحمدُ لله على ما أتاني....

فسأله الضابط مجددًا أليس لديك عائلة حقًا..!؟

. قال له:

إن أبي وأمي متوفيان منذ أن كان لدي عشر سنوات وليس لدي سوى عمي، وتركتهُ كما أخبرتكم...

. ثم سألهُ مجددًا: هل هذا الشاب الذي كان يقود السيارة..؟

فقبل أن يَرد عليه حمزة قال له الرجل:

إن ابني من فعل ذلك وإن هذا الشاب هو على مسؤوليتنا من الآن، فسوف نهتم به إلى أن يقف على أقدامه من جديد...

. فوافق الضابط على كلام الرجل ووثق بهم، ثم تركوه معهم، بعد أن جعل الشاب الصغير يوقع على ورقة كان يمسكها بيده لأجل حفظ حقوق المريض...

. فنظر الرجل إلى حمزة وقال له:

. ممكن تحكيلي ما حدث معاك...؟ فقبل حمزة بأن يُخبرهُ بكل شيء حدث معه البلدة

. فتحدث معهُ من بداية حادثة والديه واستغلال عمهِ وظلمهِ

له وأصدقائه وعائشة إلى العجوز وابنه.

فرد الشاب قائلًا: لا تقلق، سوف نهتمُ بك يا حمزة من بعد الآن، فأنت في رعايتنا

إن اسمي فهو " مالك "؛ وهذا أبي رجل الأعمال " سُليمان شفيق" صاحب أكبر شركات الانترنت والحاسوب في الشرق الأوسط، فلما سمع الشاب تلك المعلومات عنهم قد اتضح له أنهم عائلة تمتلكُ الكثير من الأعمال، ويستطيع العمل معهم، بعد أن يقف على قدمه من جديد...

. ثم وافق الذهاب معهم إلى منزلهم، وفرح مالك بأن حمزة سوف يذهب معهم البيت، ووضع يديه على كتف مالك، واستند عليه، وتحركوا معًا إلى أن وصلوا إلى السيارة، ففتح لهم بابها ذلك الشاب الذي كان يعملُ سائقًا لدى سليمان شفيق...

***

. فذهبوا إلى المنزل وهم يسيرون على الطريق، رأى حمزة كثيرًا من المناظر الجميلة التي جعلته ينسى ما قد أصابهُ من طول الأشجار وكثرة السيارات وارتفاع المباني وجمال البُحيرات رأى شيئًا لم يرَي مثلهُ من قبل في هذه العشوائيات التي كان يعيشُ بها قبل أن يدخل إلى المنزل، ظل يصفُ الطريق المنزل ويقول:

* (إنني لم أرَي جملًا هكذا وإني في دهشة، ولم أعلم ما أنا أسير داخلهُ الآن؛ لم أرَي مثل تلك الأماكن من قبل ولا تلك المناظر الجميلة، وقد وصف الهدوء الذي رآهُ بهذه المدينة بهدوء ليل

الشتاء لديهم، فلما اقترب الشاب على الدخول إلى المنزل الخاص بهم، رأى شيئًا مُبهجًا كان يقول: إنني الآن إما في حلم وإما أنني الآن ميت وفي الجنة، ثم أخبره مالك قائلًا لا تُدهَش يا حمزة هذا المنزل الذي سوف تعيش به من الآن...

. ففرح من حديثه هذا، فاستمر في السير وهو في غاية الأندهاش حتى دخل إلى المنزل، ووجد أمامهُ مكانًا كبيرًا وواسعًا جدًا من الداخل وشيئًا جميلًا فقال عنه: أما أنا الآن إما في مملكة الملك وإما في جنة نزلت من السماء وضعت على الأرض؛ لم أعلم ما هذا ولكنهُ شيء جميل جدًا، ولا أتخيل ولو لمرة واحدة أن الأرض تمتلك جمالًا هكذا في حياتي، فهمس بصوت مُنخفض قائلًا: كنت أظن أن الحياة مُتوحشة وأنها قد اتضحت أمامي الآن ما معنى أن تمتلك أموالًا تجعلك تعيش حياة دون ألم الفقر...

. فرد عليه الرجل:

لا يغرق كل هذه الأشياء يا بُني إنها لفانية، وإننا جميعًا لهالكون وليس باقيًا لنا فيها سوى أعمالناَ فقط..

. قال لهُ: قد صدقت يا بيه...

. فرد الرجل: لا تُخبرني بهذه الكلمة مُجددًا أذكرني بأي شيء سواها

. فلما تحرك داخل هذا الشيء العجيب الذي ما زال مُدهَشًا مما يراه به، فالتقى امرأة ترتدي زيًا مُحتشمًا، وتمسك بيدها شيئًا كأنه هاتف، ولكنني لم أرَي من قبل مثيله، ثم أنها تُشبه مالك في

الكثير من الصفات حتى التقته، فأخذته في حضنها وهي تبكي وتقول لهُ: أأنت بخير أأنت بخير...؟!

ثم نظرت إلى حمزة قائلة: هل أنت بخير يا بني..؟

فقال لها ووجهه قد امتلأ بعلامات الاستفهام من هذا السؤال المُفاجئ قائلًا: هل تقصدينني أنا...؟

. فقالت: نعم أنت، من غيرك هُنا؟

. فأخبرتها أنني بخير والحمد لله..

فتحدثت إلى مالك مجددًا:

. إنني قد جعلتهم يُرتبون غرفة لحمزة بجانب غرفتك، فأخذهُ الآن لكي يغير ثيابه، وقد كان يتعجبُ من هذه المرأة ومن معاملتهم لهُ، ولم يدريِ من هي... أهي ووالدته أم من؟ ثم استند على مالك، وطلع معهُ إلى الحجرة، ففتح الباب، ونظر إلى داخلها، ولم يعلم ماذا يقول سوى قوله منزل من هذا يا مالك..!؟

. فقال له مالك:

هذا ليس منزلًا يا حمزة هذه تُسمى غُرفة وهي تكون لك من الآن...

. فلم يعلم ماذا يرد عليه قائلًا، ولا يُدري ما الذي به الآن، ثم قال مالك: إنني سوف أجلس معك الآن، ونتحدث معًا عن حياتك الماضية، وتحكي لي كيف صبرت كل تلك المُدة مع عمك هذا..!؟ وأنا أيضًا أخبرك عن حياتي الآن..

فأخبرهُ حمزة وهو يخشى أن يزعل منه الشاب:

سامحني يا مالك، ولكنني مُتعب الآن، وأريد الجلوس بمفردي في هذا الهدوء فقال له مالك:

لا عليك إنني سأذهب الآن، ولكن لا تنم، فسوف آتي إليك من أجل العشاء بعد الساعة التاسعة...

. وأيضًا نسيت أن أخبرك إذا احتاجت إلى شيء ما، فضغط على ذلك الزر الذي يوجد بجانب سريرك، وأنني سوف آتي إليك على الفور...

. فرد حمزة وهو لا يدرك جيدًا ما الذي يتحدث عنه:

إنني لم أرَي في حياتي جمالًا كهذا البيت، ولكن ماذا شأن هذا..؟ وشاور بإصبعه صوب ذلك الزر.... إنهُ شيء يتصل بغرفتي وغرفتك فقط إذا ضغط عليه، سيُحدِث لي صوتًا بأنك تحتاج إلى شيء، ثم تركه مُغادرًا للغُرفة، وأغلق بابها خلفهُ، وترك حمزة بمفرده ثم اتجه الشاب إلى بلكونة غُرفة، وكان يوجدُ بها كرسي من الخشب، فجلس عليه، ونظر أمامه، فوجد الكثير من الأنوار التي تُضيء هذا المكان والسيارات ومياه النهر ثم نظر أسفله، فوجد جنينة هذا البيت...

. وظل يُفكر ويصرح في هذا المكان العجيب إلا بعد فترة سمع صوت الباب يطرق فقال من في الخارج..؟

. فقال له:

العشاء جاهز يا سيدي هل أنت جاهز للنزول الآن.؟ . أجل

ففتح عليه الباب قائلًا: أنا (مجدي) يا سيدي وقد كلفني الحج سليمان بمراعاتك، وأنني الآن في خدمتك، ثم قال هيا استند على كتفي لكي ننزلَ الآن... فلما نزل إلى المنزل من جديد، كانت هُناك تلك المرأة الذي لم يعرف من هي حتى الآن والرجل يجلسان ومالك ليس هناك، فقد سأل حمزة عن مالك..؟ فردت عليه المرأة وقالت له اجلس أنت الآن يا حمزة، ومالك سوف ينزل من غرفته الآن...

. فجلس الشاب، ثم نظر، فوجد مالك ينزل من على السلم، وجلس بجوار حمزة على هذه السفرة الطويلة، وأتت فتاة من الخارج تحملُ حقيبة وراء ظهرها، فقالت لهم كيف حالكم..؟

ثم نظرت إلى حمزة وقالت لوالدها من هذا..؟

فصمت الشاب، ولم ينطق بشيء، فتحدث الرجل وقال لحمزة إن هذه ابنتي (سارة) وهي في التاسعة عشرة من عمرها أكبر من مالك بعامين، فقد أدرك أن مالك أصغرُ منهُ سنًا، وتلك الفتاة في عامه نفسه

. وقال لها هذا حمزة يا سارة...

ثم دخلت بعد فترة من الوقت فتاة وهي أخت مالك الأكبر ومعها شباً طويل القامة يمسك يديها، ثم سلمت عليهم جميعًا، وجلست وقد أخبرهُ الرجل عنها قائلًا " إسراء " ابنتي الأكبر وهي متزوجة، ولكنها تجلس مَعنا في منزلنا هي وزوجها " عاصم " ثم أشار إلى المرأة قائلًا: أما هذه، فهي " زينة " زوجتي، ولكنها أم لمالك فقط بينما البنات فقد تُوفيَت أمُهن منذُ سنوات ماضية...

. فظلا يتبادلان الحديث، حتى انتهيا من الطعام، ثم أخبر الرجل حمزة قائلًا:

إنك الآن في رعايتنا يا بُني إلى أن تقف على قدميك من جديد، وتستطيع التحرك عليها، ولا تُتعِب نفسك في شيء، إذا احتجت إلى شيء، فسوف تجدهم جميعًا في خدمتك...

فرد الشاب قائلًا:

أشكرك يا سيدي على كل ذلك.

. ألم أقل لك يا حمزة لا تُخبرني بهذه الكلمة مُجددًا..؟

. مُتأسف لك جدًا

. لا عليك، إذا شئت بأن تقول لي يا عم سليمان أو أبي كما يقول مالك لي، فأنا سوف أكون سعيدًا جدًا، فلا فرق بينك وبينه...

. فلم يستطع الرد عليه إلا وأنه قد قال له أشكرك يا عم سليمان...

. لم يستطع الشاب إخراج كلمة أبي من فمه، لأنه لم يَعتدها منذُ وفاة والده...

***

وبعدها قد قام الشاب من على السفرة، وقام معهُ مالك، وخرجا إلى غُرفته، وجلس مالك بجانبه وقال له هل تتحدثُ معي الآن يا حمزة أم لا..؟

. فقال له حمزة:

سوف أتحدثُ معك يا مالك اجلس، فجلس ولكن قبل أن يبتدئ الحديث بينهما، سمعا صوت الباب يطرق عليهما فقال مالك مين؟ فدخل كل من (إسراء وسارة) ثم قالت له إسراء هل تأذن لنا يا حمزة أن نجلس معكم، ونتحدث قليلًا...!؟

. فأذن لهم الشاب بالجلوس

. فاجتمعواْ هم الأربعة في حجرة حمزة، وقد أخبرهم حمزة عن كل ما حدث معهُ عما رآهُ في بلدته... وقد حزن عليه وعلى ما حدث له، فقالت له إسراء:

أنت من الآن أخي يا حمزة، فسوف أعتبركُ من الآن كأخي مالك، وإن احتجت إلى شيء، فقل لي عليها وسوف أفعلُ لك ما تُريد.... ومن الآن سوف أجعلك تتصاحب مع أصدقائي، ولن تشعر ولو للحظة واحدة بعد الآن أنك وحيد في هذا المنزل وأيضًا أنني واثقة تمامًا بأنك سوف تُحبنا جميعًا وأتمنى نحن أيضًا....

. ثم تحدث مالك قائلًا:

. وأنا أيضًا يا حمزة من الغد سوف أتصلُ بكل أصدقائي يأتون ونجتمعون معًا، ولن تشعر بهذا مرةً أخرى...

. إنما سارة فقد أخبرتهُ قائلة:

اعذرني يا أخي لأجل أنني سوف أكون مشغولةً عنك في دراستي، ولكن اعلم بأنني أول من يقفُ بجانبك، إذا احتجت إلى شيء، وهذا وعد مني لك، وكن على علم أيضًا بأنك سوف تكون في غاية السعادة برفقة أصدقائي مالك في المنزل....

. فرد حمزة وقال لهم:

لا أعلمُ ماذا أفعل لكم لكي أشكركم على كل هذا الذي تفعلونه لأجلي...

. إسراء:

. لا تشكرنا يا حمزة، ولكن كل ما عليك الاهتمام بنفسك جيدًا، ولا تحزن على ما مضى ونحنُ الآن سوف نغادر لكي نتركك تُريح جسدك المُنهك من هذا اليوم..

. خرجوا جميعًا إلا مالك قد جلس معهُ قائلًا له غدًا سوف نقوم بكثير من الأشياء الجميلة معنا، والآن أتركك تنام كي أيقظك في الصباح، ثم ذهب للخارج، وأغلق خلفهُ الباب، وظل حمزة يريح جسدهُ على ذلك السرير المُريح الذي جعلهُ ينسى تعب الأيام الماضية، وينظرُ أعلاه وهو يتأمل جمال هذه الحجرة وهذا البيت وما حدث معهُ اليوم، وما يراه من تلك العائلة التي تهتمُ به أكثر من اهتمامهِ بنفسه، إلا بعد فترة من التفكير الذي طال قد غلبهُ النُعاس، ونام.

***

. ولم يدريِ بأي شيء سوى أنهُ قد استيقظ على صوت مالك وهو يطرق على الباب ويقول لهُ استيقظ يا حمزة قد تأخر الوقت كثيرًا، فقام ونظر إلى الساعة التي توجد على الحائط أمامهُ وجدها الثانية ظهرًا، ثم أذنَ لمالك بالدخول، فدخل عليه الشاب قائلًا له:

هيا استيقظ وارتدي تلك الملابس التي توجدُ عندك في الدولاب وأنني أنتظرك في الخارج، حينما تنتهي لنفطر معًا، ونذهب إلى ما أخبرتك عنهُ في البارحة...

فقال حمزة: إن والدك سوف يرضى بذلك...؟

. فابتسم مالك ابتسامة مُصاحبة للضحك الشديد قائلًا لهُ:

أجل، إنني أفعل كل شيء أريده الآن؛ فأنا لستُ صغيرًا يا حمزة، فقد مضى عامي السابع عشر وها أنا بدأتُ في عامي الجديد وقد كبرت ولم أعد صغيرًا يا أخي...

. فنهض الشاب من على السرير، وفتح الدولاب، ووجد به الكثير من الثياب الجديدة والأحذية، ولم يُدرك ما هذا إلا بعد أن انتهى من تغيير ملابسه بهذه الملابس الجديدة، ونادى على مالك فأتى إليه، ثم قال لهُ حمزة:

لمن كل هذه الثياب يا مالك..؟

. إنها لك يا حمزة، فقد أتت بها والدتي لك، حينما علمت بأنك سوف تجلسُ معنا هُنا...

فابتسم الشاب ابتسامة قد أشعرت جسده من هذا الحديث قائلًا له: اقترب مني لكي أستند عليك يا أخي، فأسندهُ ونزلا معًا إلى

المنزل واتجها ناحية السفرة الطويلة من جديد، وجلسا ينتظران الخادمة بأن تأتي لهما بالطعام، فلما أتى الطعام، ظلوا يأكلون حتى انتهوا منه، ثم قاموا مُتجهين إلى سيارةِ مالك، وركب حمزة في هذه السيارة السوداء عالية الحجم الخاصة بشركة (فيات) فذهبوا معًا إلى منطقة هادئة تمامًا لا يوجدُ بها سوى مياه النهر الزرق وقليل من المباني فيها، وجلسوا في منطقة صغيرة تُشبهُ الشك، وكان يعلوها شيء يُشبه المظلة تحجم عنهم ضوء الشمس وهم ينظرون إلى مياه البحر مُباشرة، ثم تحدث مالك إلى حمزة وقال لهُ:

. سوف نجلسُ هنا إلا أن يأتي أصدقائي من منازلهم لكي نذهبَ معًا. فجلس حمزة ومعهُ مالك في هذا المكان بمفردهم، وتحدث حمزة قائلًا:

. لماذا أنت لم تعمل مع والدك، وتُساعده بدلًا من عملهِ بمفرده يا مالك..؟

. إن أبي لن يرضى بذلك يا حمزة حتى الآن بسبب أنهُ يُريدني أن أنشغل وأهتم بدراستي فقط وأيضًا هُناك يعملُ أبي ومعهُ زوج أختي (المُهندس عاصم) هو المسؤول عن الكثير من أعماله وليس أبي من يعملوا بمفرده...

وهما يتحدثان دخل عليهما شبان واثنتان من الفتيات، فنظر حمزة خلفهُ فوجدهم يُسلمون عليه وتحدثت إليه فتاة تُشبه كثيرًا أخت مالك سارة قائلة لهُ:

كيف حالك يا حمزة..؟

.الحمدُ لله، ثم نظر إلى مالك نظرة تساؤل بأنهُ كان يُريد أن يخبر مالك من هؤلاء الأولاد...؟

. فتحدث مالك وقال:

.إن هذه (حلة) وإنني لم أخبرك عنها يا أخي كثيرًا، ولكن هي روحي كما يقولون لن يستطيع الإنسان العيش بدونها، فهي كذلك، وبالمناسبة أيضًا فهي بنت خالي (شريف) أكبر دكتور أسنان يوجدُ هُنا في المدينة...

. أما هذا، فهو (يزيد خالد) صاحبي، ووالدهُ يعملُ مُستشارًا قانونيًّا لشركات أبي، ولكننا أصدقاء منذُ الطفولة، فابتسم وقال لهُ وأيضًا هو عاشق (لمي) صديقتنا الرابعة، فأما هذه الفتاة الرابعة، فهي مي كما قلت لك إنها صديقة يزيد، وإن والدها (المُهندس سيف) الذي يعملُ معي والدي أيضًا...

.وقال لهم: وها هو حمزة الذي أخبرتكم عنه صاحبنا الخامس...

. قد حس الشاب بحرج شديد في تلك اللحظات، حينما ذكر مالك أب هؤلاء الأولاد وهو الوحيد الذي لم يكن لهُ أب بينهم، ولم يعلم ماذا يخبرهم حينما سألهُ يزيد قائلًا لهُ:

.وأين والدك يا حمزة..؟

. فلم يستطع الحديث وقد صمت، ولم يدرك ماذا يقول له إلا أن تحدث مالك بدلًا عنه قائلًا:

.إن عمي مُصطفى قد توفاهُ الله العام الماضي، وحمزة كان يعيشُ معهُ في أوربا، ولكنهُ الآن سوف يعيش معنا...

. فقد اتجه مالك إلى السيارة وشغلها ثم نزل منها، وأمسك بيد حمزة، وركب بجانبه، وجعلهم جميعًا يركبون في المقعد الخلفي للسيارة..

ولم يُخبر مالك أحدًا منهم عن حمزة وعن قصتهِ سوى (حلة) حبيبتهِ وبنت خالهِ أيضًا...

. فاتجه الشاب إلى مكانٍ ما يجلسون به يُشبه المقهى تمامًا، ولكنهُ كان نظام غُرف تسلية يوجدُ بها كل أنواع الألعاب، فدخل مالك حجز لهم غرفة، ودخلوا جميعًا إليها، وقد كانت هذه الغرفة تنظرُ إلى النهر من ناحية ومن الناحية الأخرى إلى المدينة وأيضًا كانت تنظرُ إلى المِساحات الخُضر الجميلة، لأنها كانت من جميع الجهات زجاجًا إلا الجزء الذي يوجدُ به الباب الخاص بها....

. فدخلوا إليها، وبدأ كل منهم يجلسُ مع حبيبته، ويلعبان معًا، وحمزة يجلسُ بمفرده يتأمل جمال هذه البلدة ويقول لنفسهِ:

* يومًا ما سوف تصبحُ سيرتي على لسان من يوجدُ هُنا، فسوف أجعلهم جميعًا يتمنون أن يلتقوني، أو يتحدثون إليا، سوف أصبحُ شخصًا مثاليًا، وليس شخصًا عاديًا كما قالت لي عائشة؛ ولن أرتاح هُنا إلا أن أحقق الكثير من الإنجازات، ولن أهدأ إلا أن أجعلهم جميعًا يعلقون صوري في منازلهم من حبهم لي، ويذكرون اسمي في جميع أنحاء العالم، إنهُ حمزة الشاب المُكافح، إنهُ هو *

. فقد سرح حمزة في هذه الأحلام إلا أن سمع مالك وهو يقول له:

. لماذا تجلس بمفردك يا حمزة، تعال العب معي أنا وحلة..

. فقال لهُ:

لا عليك يا مالك، أكمل أنت جولتك وإنني الآن في أشد السعادة لا تهتم لأمري...

. فأكمل الشاب اللعب مع صديقتهِ؛ وظل حمزة يفكر ماذا عليه فعلهُ لكي يُحقق هذا...؟

. وظل يتساءل كيف أفعل هذا وأنا عاجز هكذا..!؟

. وقد مر عليهم وقت طويل إلا أن تأخر الوقت، واتصلت أم مالك، وأخبرتُه بأن يأتي الآن....

. فحقًا فعل ذلك وذهبوا إلى المنزل، فحينما وصلوا إلى المنزل، وجد حمزة العم سليمان هُناك، فجلس بجواره وقال لهُ الرجل:

كيف حالك الآن يا بُني...؟

. بخير والحمد لله يا عم سليمان..

. هل استمتعت مع أصدقاء مالك...؟

. أجل، إنهم أسعدوني جميعًا

. فقال لهُ حمزة: أستأذنك بأن أطلع إلى غرفتي قد تعبت كثيرًا

. ثم نادى لهُ على مجدي لكي يصعد معه إلى غرفته...

. أتى إليه، وأسندهُ وطلع به، ولما دخل إلى حجرته وقد أسنده

مجدي حتى جلس على ذلك الكرسي الذي يوجدُ أمام البلكونة الخاصة بالغرفة وتركه وخرج، ثم نظر حمزة إلى هذا المكان، وسرح مُجددًا فيما كان يُفكر به في المقهى، ثم قال يا رب دلني على ما لا أستطيع الوصول إليه..؟

. قد كان يقصد ما هي أول خطواتهِ لكي يحقق ما يتمنى..؟

. ثم فكر قليلًا بأن يتعلم شيئًا عن الهندسة لكي يعملَ عند والد مالك في الشركة أو لدي شركة أخرى، ولكن كان يقول لنفسه:

كيف أفعلُ ذلك..؟

. بعد بضع دقائق سمع الباب يُطرق إذ بمالك يقول لهُ هل تأذن لي بالدخول يا حمزة..؟

ادخل يا مالك...

. دخل الشاب، وجلس بجانبه على كرسي آخر قائلًا لهُ:

هل تعلم يا حمزة أن هذه القاعدة مجلسي المُفضل..؟

. رد عليهم حمزة بكل اندهاش:

. إزاي يا مالك..؟

. هو أنت متعرفش غرفة مين دي..؟

. لع

. أه صح أنا مجبتش قدامك سيرة عنها...

بص يا عم دي كانت غرفتي قبل ما أنت تيجي، والغرفة اللي أنا بنام فيها دلوقتي بتاعة الضيوف؛ بس أبويا وأمي رفضوا أنهم يخلوك

تنام هناك وكانوا عايزينك تنام في غرفة سارة وهي تنام في غرفة الضيوف بس هي رفضت وأنا اللي وافقت على ده، وكنت دايمًا بقعد هنا لوحدي لما بكون مدايق واديك أنت يا عم خلتني أرجع لذكرياتي تاني....

. فابتسم لهُ حمزة وقال:

هل تدرك يا مالك، لو أن لدي أخ مثلك منذ فترة أنا عمري ما كنت أحتاج أي حاجة من حد؛ بس بحمد ربنا أنو قابلني بك في هذه اللحظة..

. فقال لهُ مالك وكان وجهه مليئًا بالضحكات الخفية قائلًا:

. أهم ما في الأمر أنك تكون مبسوط معانا هنا وبس واوع تكون لسة زعلان من كلام يزيد..؟ فرد عليه:

إنني في أشد السعادة بأنني التقيتك وهذه العائلة الجميلة، وأما عن كلام صاحبك، فلم أحزن، لأن هذا المعتاد لدي..

. ثم قال لهُ:

مالك؛ هل يوجد لديك جهاز آلي كاكمبيوتر هنا..؟

. لع معنديش كمبيوتر بس عندي لاب توب ينفع معاك..؟

. أكيد هو فين...؟

. ثواني أجبهولك واجي...

. فذهب الشاب إلى الغرفة، فلم يجده، وظل يبحثُ عنهُ إلا أنهُ تذكر شيئًا ما وهو أنهُ قد أعطاه لحلة منذُ الأسبوع الماضي لكي

تُحدثه...

. فارتبك قليلًا ماذا يقول لهُ سوى أنهُ ذهب للأسف لكي يأتي باللاب الخاص بأي من أخواتهِ وظل يترك حمزة في الخارج، فلم ترضَ سارة بأن تُعطيه إياه، ولم يجد إسراء هُناك في غُرفتها، فذهب إلى والدتهِ، وأخبرها بما قال لهُ حمزة..

. ثم أعطاه كرت الشراء الخاص بها وقالت لهُ اذهب وأحضر لهُ واحدًا يكون خاصًا به..

. فشكرها جدًا ثم احتضنها وذهب مُسرعًا بسيارته، واشتراه وأتى به إلى حمزة، فوجد حمزة قد نام...

. ثم وضعهُ على التريزة التي توجدُ بجانب سريره، وذهب هو إلى غرفته، ولما استيقظ حمزة من نومه، وجدهُ أمامه، فقد ضغط على ذلك الزر، وأتى إليه مالك فقال لهُ:

. ما هذا الشيء..؟

. فرد عليه قائلًا:

. إنهُ اللاب الخاص بك من بعد الآن وهو أحدثُ شيء نزل في السوق يا حمزة أحدث شيء يوجد في المنزل عامة...

. فضحك الشاب وقال: لم أعلم ماذا أقول لك يا مالك سوى أنني أريد أن أحتضنك الآن...

. فابتسم مالك وعانقه وانتظره بالخارج إلى أن يرتدي ملابسه، وينزلوا معًا...

***

وها هو قد بدأ في تعليم الحاسوب منذُ ذلك اليوم، ولم ييأس قط، رغم صعوبة هذا العمل، فخرج مع مالك وقضى معهُ هذه الليلة، وكان يرجعُ في آخر الليل يفتح اللاب ويبدأ في تعليم شيء جديد، ومر على ذلك أكثر من شهر وهو على هذه الحالة، وكلما أتى إليه مالك للخروج معًا، يذهب أيامًا، ويرفض أيامًا أخرى،

وكان كلما سألهُ مالك لماذا لم تذهب معنا اليوم..؟ يقول له:

لأن قدمي تؤلمني كثيرًا..

.فافي ليلة من هذه الليالي أتى إلي العم سليمان في غرفته، وأخبرهُ بأنهم سوف يذهبون غدًا إلى الطبيب، وجلس مع حمزة قائلًا لهُ:

. إن أخبرنا الطبيب أنك تستطيع التحرك عليها من بعد الآن سوف يبقى القرار قرارك من بعدها، إذا أردت أن تُكمل حياتك معنا هُنا، سوف أكون في أسعد أيام حياتي، وإن أردت الذهاب إلى بلدتك مُجددًا، فسوف أتبع أخبارك كل يوم، وكما قلت لك إنهُ سوف يكون قرارك أنت يا بُني...

***

. فلما أتى موعد زيارة الطبيب، ذهب حمزة ومالك ومعهما العُم سليمان إلى هُناك، وكشف عليه، ثم قال لهم:

إنهُ الآن بخير، وقد تحسن كثيرًا، ويستطيع التحرك عليها دون الاحتياج إلى العوكاز مُجددًا أو أحد لكي يستند عليه....

. ففرح كل منهم بسماع ذلك الخبر وقد خرجوا من عند الطبيب، بعد أن شكرهُ الرجل تاركي المكان ذاهبين إلى المنزل، وقد كانوا جميعًا في غاية السعادة إلا الشابُ كان يُفكر فيما ينبغي له فعلهُ بعد ذلك...؟

فلما وصلوا إلى المنزل وقد قال العمُ سليمان لمن في البيت إن حمزة يستطيع التحرك على أقدامهِ من بعد الآن قد فرحوا كثيرًا لهُ، وكانوا يرقصون ويفرحون جميعًا، وقد عانقته الأم زينة لأول مرة لهُ يحس بذلك العناق الذي حُرِم منه بعد وفاة والدتهِ؛ فبكى الشاب فيما حدث...

ثم قالت لهُ الأم زينة ووجهه يظهرُ عليه الحزن كثيرًا:

ما الذي يُبكيك يا بُني..؟

. قال لها حمزة:

الذي يُبكيني أنني أول مرة في حياتي بعد أن قضيت تسعة عشر عامًا وأنا أعيش في هذه الحياة لم أرَ مثل هذه الحنية إلا منكِ أنتِ ومن مالك ومنكم جميعًا، قد أحببتكم جميعًا في هذا الوقت الذي قد قضيتهُ معكم هنا وأنني لن أرى مثلكم عائلة بعد الآن

. فتحدث إليه الرجل وقال لهُ:

اتبعني إلى مكتبي الآن يا بني؛ ذهب الشاب خلفه، وظلوا في الخارج يتعجبون على ذلك الشاب الذي انظلم كثيرًا في حياته...

ثم سأله الرجل قائلًا له:

الآن بيدك الاختيار أننا قد فعلنا معك كل شيء، وها أنت واقف على قدميك مُجددًا، فافعل ما تُريد من بعد الآن القرار قرارك كما أخبرتك ليلةَ البارحة، فسوف أنتظرُ قرارك في الصباح تمام..

***

فذهب الشاب إلى غرفتهِ، وظل يُفكر، ولم ينم الليل بسبب انشغال فكره بهذا الموضوع، ولما أشرق الصباح، نزل إلى الأسفل ثم وجدهم جميعًا ينتظرونهُ، فبدأ الشاب متحدثًا إليهم جميعًا قائلًا:

(إنني أود شكركم جميعًا على تلك الليالي التي قد عشتها معكم وإنكم قد فعلتم معي أكثر من حقي وإني رأيتُ هُنا ما معنى كلمة عائلة لأول مرة في حياتي، وأود أيضًا أن أخبركم بأنني قد أحببتكم جميعًا، وسوف تبقون في ذاكرتي إلى الأبد، وسوف أذهبُ ولا أعلم هل أرجع إليكم مُجددًا أم أذهب، ولم أعد، ولكنني أود إخباركم قائلًا:

أراكم على خير، ولن أنساكم أبدًا وشكرًا لكم جميعًا من جديد).

فحمل أغراضهُ على ظهره مرةً أخُرى، وذهب من باب المنزل وعيناه تمتلئان بالدموع، وتسقط على ملابسه من لحظة فراقهم، وهم جميعًا الحزن يمتلئُ وجههم، ولم يدركوا ماذا يفعلون لهُ إلا وأنهُ قبل خروجه من بوابة الفيلا الخاصة بهم، قد ذهبوا وراءهُ

جميعًا حتى الخادمة والبواب كانا يقفان معهم...

وقال له مالك وعيناه تتساقط من الحزن عليه:

. أين تذهب أنت الآن وتتركنا يا أخي؛ هذا بيتك وقد اعتدنا وجودك معنا يا حمزة؛ أرجوك لا تذهب وتتركني يا أخي...

. فقد سمع حمزة هذه الكلمات وراء حبهم لهُ وما زالت الدموع تتساقط وهو يبكي من تأثرهِ بهذا الحديث، فصمت ولم يدرك ماذا يقول لهُ بعد هذا الحديث....!

ثم قال له الرجل إلى أين أنت ذاهب يا بني أخبرني...؟

. فقال له إن أرضَ الله واسعة، ولن أرضى بالعيش معكم مُجددًا، وسوف أذهب لكي أبحث عن هدفي الذي جئت إلى هُنا من أجله وقد كنت عاجزًا ولن أستطيع التحرك على قدمي، ولكنني بفضل الله الآن قد تحسنت كثيرًا إنني قد تركت بلدتي، وأتيت إلى هُنا لكي أعمل وقد حدث ما حدث لي من نصيب وقدر مكتوب..

فقال لهُ الرجل:

إنهُ لخير نصيب وأجملُ قدر بأن نلتقيك، وتجلس معنا في المنزل يا بُني ثم قال إذا كنت تبحث عن عملي، فهو معي في شركتي؟

فقال لهُ إزاي وأنا معرفش إلا معلومات قليلة عن عملك..؟

فرد عليه وقال:

إنني قد علمت أنك قد تعلمت بعض عملنا من اللاب الذي اشتراه لك مالك، وأنا أستطيع أن أجعلك تتعلمُ اكثر في الشركة لا تقلق أنت..

. فوافق حمزة بأن يعمل مع سليمان شفيق في إحدى شركاته، وفرح مالك واحتضن حمزة، وفرحوا جميعًا بأن حمزة سوف يبقى، ولن يغادر...

. ثم قال له الرجل ووجهه لم تغادر من عليه الابتسامة:

اترك أشياءك هنا وهيا بنا إلى العمل أيُها الشابُ، ليس لدينا وقت للراحة..!؟

. فابتسم حمزة، وضحكوا جميعًا، ثم دخلوا إلى المنزل، وبدأ حمزة العمل من ذلك اليوم، بعد أن تناولوا الفطار، قام العُم سليمان إلى أن يجهز حالهُ في الذهاب إلى العمل، ثم قال له حمزة:

أستأذنُك أن آتي معك اليوم لكي أتعلم شيئًا عن عملي الجديد.. فوافق الرجل وقال له اذهب وارتدي ملابس غير هذه، ثم انتظرني هنا حين آتي إليك...

فقد فعل حمزة كما قال لهُ وانتظر إلى أن أتى الرجل إليه ثم قال له هل أنت جاهز للذهاب يا بُني..؟

. نعم، أنا جاهز...

. فخرجوا معنا إلى تلك السيارة الخاصة بالعم سليمان، ولما دخل بداخلها، رأى جميلًا لما يراه من قبل في تلك السيارة التي أتى بها إلى المنزل لأول مرة وأيضًا السيارة التي ذهب بها إلى الطبيب.!

فتعجب من ذلك وقد تحدث إليه وقال:

. تلك السيارة تختلف عن أولئك السيارات التي ركبتها معك من قبل هل كل ذلك خاص بك...؟

. فرد عليه مُبتسمًا: أجل، إنها ملك لي، ولكن كل واحدة منها لها دور في حياتي، كهذه السيارة مثلًا إنها خاصة بالعمل، أما السيارة الحمراء التي ذهبت بها من قبل معك عند الطبيب، فإنها خاصة بالخروجات والمناسبات، أما السيارة الرمادي التي أتيت بها لأول مرة إلى البيت، فهي بديل لهذه السيارة...

ثم قال لهُ: لا تنشغل بهذا حاليًا، ولكن عليك بالاهتمام بعملك جيدًا، وسوف أجعلك تلتقي عاصم زوج إسراء لكي يُعلمك طبيعة عملنا.

. فقال له الشاب بكل حماس:

سمعًا وطاعة يا مولاي. فضحك الرجل وقال له أتمنى لك التوفيق يا بني في كل خطوة قادمة لك...

. ثم بعد ذلك ذهبوا إلى ذلك المقر الرئيس الخاص بالعم سليمان وقد رأى الشاب كثيرًا من البشر يحترمون هذا الرجل، فتعجب الشاب من ذلك، وتعجب أكثر من المكان ومن كثرة الشركات الموجودة به، ثم توجه الرجل إلى مكتب كبير جدًا، ويوجد به شابٌ طويل القامة، فلما رأى ذلك الشاب العم سليمان، وقف إليه، وسلم عليه، ثم قال له: كيف حالك وحال الشركة يا عاصم...؟!

. فقد أدرك حينها أن ذلك الشاب زوج ابنة الرجل وهو المسؤول عنه تعليمه العمل..

. فقد بدأ العم في الحديث مع الشاب، وأخبرهُ عن حمزة وقال

هذا حمزة الذي سوف يعملوا معنا من الآن يا عاصم وهو الآن مسؤول منك أنت؛ أريد بعد فترة قصيرة أن أجدهُ قد تعلم كل شيء...

ثم بدأ الشاب بالحديث مع حمزة وقد تركهم العم وخرج وقال لحمزة إنني على مكتبي إذا احتجت إلى شيء مني، فأخبر المُهندس عاصم وهو سوف يأتي بك إلي، ثم ذهب الرجل، وبدأ المُهندس يتحدث إلى حمزة، ويخبره على أشياء في العمل معهم ثم قضى هذا اليوم وذهبَ إلى المنزل مع المُهندس عاصم، فإن العم سليمان قد أخبرهُ بأنهُ سوف يذهب ويأتي مع عاصم كل يوم، فذهبَ إلى المنزل، ولم يأتِ اليوم الثاني بدأ في العمل من جديد، وأتى عليه لحظة قد حس بها بالتعب الشديد، ولكن لم يُخبر أحدًا بذلك، فقد قال للمُهندس عاصم إنه سوف يذهب لكي يشتري شيئًا ما من الخارج، ويرجع على الفور...

فقال له:

لا تذهب لوحدك يا حمزة، فخذ أحدًا معك من الخارج...

فرد عليه قائلًا:

لن أحتاج إلى أحد، فأنا أعلم الطريق جيدًا، فذهب الشابُ إلى مكانٍ بعيد عن تلك الشركة ببضعة أمتار وجلس به واستراح، ثم بدأ يتذكر تلك الأيام التي قد قضاها في البلدة، وتذكر أصدقاءهُ والفتاة من جديد، ثم أمسك بهاتفهِ بيده، وظل يفكر بأن يفتحهُ أم لا لأنهُ من لحظةِ خروجهِ من البلدة أغلقه ولم يفتحهُ حتى تلك اللحظة قد مر عليه وقتٌ طويل..

.ثم فتح الهاتف وأول شيء قد فوجئ بهِ الشاب رسالة قد أرُسلت إليه من الفتاة مُجددًا، ولكنها أرسلتها إليه مُنذ فترة طويلة كان تاريخ ذلك الرسالة منذُ ثاني يوم بعد انتهاء ذلك الشات ففتح الرسالة، وبدأ يقرأها قد كتبت لهُ بها الآتي:

(إنني أعتُذر منك عن كلِ شيء قد حدثَ بيننا، ولكنني لم أقل لك تلك الكلمات التي قد أخبرتك به إلا لسببٍ واحد... وهو إنني لا أريدك أن تتعلق بي أكثَر من هذا ولا أريد أن أتعلق بك فتخذلني كما خذلني ذلك الشاب الذي قد أخبرتك عنه، وأني أعلمُ أنني قد قسوتُ عليك كثيرًا والآن قد أخبرك وأقول لك إنني أحبك حقًا يا حمزة وكنت لا أريد أن أخبرك بذلك لكي لا تتعلق بي كثيرًا، ولكن ما عليك فعلهُ الآن الاهتمام بنفسك جيدًا إلا أن تمضي تلك الفترة، ويجب علينا أن نفترق الآن، وحينما يأتي اليوم الذي تريدني أن أكون زوجة لك، فسوف تجدني مُنتظرك في منزلي مع عائلتي، وأرجو منك أن تعمل جيدًا لأجل ذلك اليوم، وأن تسامحني على كل ذلك الألم الذي جعلتك تعيشه بسببي)..

. فبدأ الشاب قلبهُ ينبض من جديد وقداماه ترتعشان ولم يعلم ماذا أصابهُ إلا أنه قد عاد مُسرعًا إلى الشركة، وأغلق هاتفهُ من جديد، ثم بدأ في العمل، وظل يفكر في الفتاة طول عملهِ وقد حاول أن ينساها، ولكنهُ لم يقدر، فلما رجع البيت، فقد حكى كل شيء حدث معه إلى مالك، وقد أخبرهُ بأنهُ مُشتاق إليها وإلى سماع صوتها، وأنه لن يستطيع نسيانها.... فقد قال له مالك لا تفعل ذلك الآن يا أخي وكل ما عليك فعله أن تهتم بعملك جيدًا كي تستطيع التحدث إلى

والدها وأنت فخور بنفسك وبعملك، فقد اقتنع الشاب كثيرًا بذلك الحديث الذي دار بينهُ وبين أخيه مالك...

وظل يقرر هذا اليوم مُجددًا

. ينزلُ في الصباح مُتجهًا إلى العمل، ويعملُ لكي يتعلم شيئًا جديدًا، ثم يرجع إلى غُرفته، ويتأمل إلى السماء وبها القمر وبجانبه النجوم المُنتاثرة وظلام السماء ليلًا، ويجلس في بلكونةِ مع هدوء الليل يفكر في الفتاة مُجددًا إلا أن يغلبه النُعاس، ويدخل إلى فراشهِ، وينام، ثم يستيقظ من النوم مُجددًا يقرر ذلك اليوم وهكذا إلا أن مضى على حمزة وهو في تلك الحالة وذلك العمل أكثر من ثلاثةِ أشهر، فقد تعلم فيها طبيعة العمل جيدًا، وبدأ المهندس عاصم يعتمد عليه في العمل كثيرًا، لأنه رأى أنهُ شاب مُكافح وطموح جدًا ومُخلص في عمله، ثم ظل الشاب يكافح ويتعلم كل يوم شيئًا جديدًا يُفيده في عمله إلا أن مر عليه ستة أشهر كاملة وهو في ذلك العمل، وقد جاء يوم وراءه العم سليمان وهو يعمل بكامل قوته، فقد افتخر منهُ وقال له إنك سوف تصبح شيئًا كبيرًا في تلك الشركة من بعد الآن يا حمزة... . ففرح الشاب كثيرًا من هذه الكلمات ثم ظل يعمل بكل طاقة، وبدأ الشاب يبني ذلك المستقبل الذي كان يخطط لهُ...

***

في يوم من تلك الأيام التي قد مرت على الشاب وهو يعمل لدى الشركة، جاء إليه العم سليمان وقد قال لهُ:

إنني أُبشرك بأنك الآن أصبحت مُهندسًا في الشركة يا حمزة، وقد عُينَ لك راتب شهري عالٍ كباقي العملاء، وقال له: إنني أريدك أن تعلم أن حالك الآن قد تغير في الشركة، فإنك أصبحت الآن المُهندس حمزة وليس حمزة فقط، فيجبُ عليك العملُ بكل ما تعلمته هنا..!

. فتعجبَ الشاب وقد ضحك، ولم يصدق ما يقول له العم سليمان إلا وأنه قد قال له من بعد الآن أنت المسؤول الوحيد لدينا هُنا عن تعيين عمال جُدد وتوظيفهم في جميع شركاتنا وليس هذه الشركة فقط.. وقد جُهِّزَ لك مكتبك الخاص من بعد الآن وقد تم اختيار مكانه المُناسب لك وهو في الطابق الثاني بجوار مكتب المُهندسة (أنجي) مُديرة قسم المُبيعات...

فلما انتهوا من الحديث وقد استلم الشاب مكتبهُ وعمله الجديد، وقد مر على حمزة ثمانية أشهر وهو يجلس معهم في المنزل... . وفي ذلك اليوم، رجع إلى المنزل مع المُهندس سليمان وليس عاصم هذه المرة وقد أخبرهم العمُ سليمان جميعًا بأن حمزة قد أصبح الآن المُهندس (حمزة مُصطفى) رئيس قسم توظيف العملاء الجُدد وليس حمزة الشاب الذي تعرفونهُ، فامتلأ البيت فرحًا لهُ على هذا الإنجاز الذي حققهُ في هذا الوقت القصير، وعانقته (الأم زينة) لثاني مرة، وتجمع الفتيات حولهُ ومالك قد فرح لهُ كثيرًا على ذلك...

.وفي ذلك الوقت، كان حمزة قد اقترب على اكتمال العشرين عامًا م ومالك في الثامنة عشرة من عمرهِ...

ثم قال حمزة لمالك:

إنك سوف تأتي معنا الشركة من الغد، وسوف تعمل معي لكي أعلمك، وتساعدني في ذلك العمل، لأننا بحاجة إليك هُناك... .فنظر مالك إلى والده نظرة احترام وتقدير كأنهُ ينتظر أن يأذن لهُ والدهُ بالذهاب إلى هُناك... فقال له الرجل:

.أتنتظر مني أن أقول لك لا تذهب بعد أن أخاك الأكبر منك أذنَ لك..!

. فرد حمزة مُسرعًا والله لن أقصد شيئًا، ولكنني أريد مالك معي في الشركة...

.فقال الرجل للشاب: اسمع كلام أخيك الأكبر من الآن يا مالك.. وهيا اذهبوا إلى غرفتكم لكي تستيقظوا مُبكرًا، فضحك مالك وقال إنني أحُبك يا أبي كثيرًا وأنت أيضًا يا حمزة...

ثم نظرت إليه أمه وقالت لهُ وأنا يا مالك ألم أعني لك شيئًا..؟! فقال لها والابتسامة لا تُفارق وجهه: وأنتِ أيضًا يا ست الكل... ثم نظر إلى أخواتهِ البنات قائلًا لهن: .لا تَبعثُ بوجهكم كهذا فأنا أحبكم أيضًا، هل يمتلكُ أحد أخوات وعائلة مثل هذه ولا يحبهُ....!

.ففتح الرجل ذراعيه تجاهه قائلًا: الحمدُ لله على هذه النعمة، فركدت إليه زوجته، ووقفت بجانبه وذهب مالك راكضًا إلى حضنهِ، ونادى على حمزة أم تأتي راكضًا أنت أيضًا إلى حضني يا حمزة...! .

فذهب الشابُ مُسرعًا إليه وقال لهُ الحمدُ للّٰه الذي جمعني بكم، وانضم إليهم (إسراء وسارة) أيضًا إلى هذا العناق الشديد.... . ثم ذهب كل منهم إلى حجرة نومهِ، فلما أصبح الصباح عليهم، ذهب الأخوان والأب إلى الشركة وقد ذهب مالك مع حمزة إلى مكتبهِ وبدأ حمزة في تعليم مالك أجزاء من العمل كاستخدام الحاسوب وتسجيلات الإميلات، ولم يُكثر عليه العمل في أول أيامه، وأن حمزة في ذلك اليوم كان مُتبقيًا له أسبوع على اكتمال العشرين عامًا، وهو قد نسي ذلك من اهتمامهِ بعمله وقد نسي أيضًا ما حدث مع الفتاة، ولم تأتِ في بالهِ مُجددًا بعد تلك الرسالة، ثم مر على مالك في الشركة أسبوع كامل، وجاء ذلك اليوم الذي به عيد ميلاد حمزة وقد ترك مالك العمل مُبكرًا في هذا اليوم، وذهب إلى المنزل لكي يرتب عيد الميلاد مع أخواته وأمهِ، ولم يخبر حمزة بأي شيء عن ذلك، وقد كان الشاب ينسى هذا اليوم نهائيًا، فلما انتهى حمزة من عمل هذا اليوم، وقد أنهاه مُبكرًا، ذهب إلى مكتب العم سليمان لكي يخبره بأنه سوف يذهب إلى المنزل الآن، ويأخذ معهُ السائق الخاص به، لأنه قد تَعب كثيرًا، وأنا مالك قد تركهُ وذهب مبكرًا اليوم، فلما ذهب إليه، لم يجدهُ في المكتب، فقد كان ذلك المكتب في الطابق الثاني بالقرب من مكتبهِ الخاص به، ثم نظر إلى مكتب المهندس عاصم، فلم يجده أيضًا، فسأل عليه (المُهندسة فاطمة) رئيسة قسم التكنولوجيا الآلية، فقد أخبرتهُ قائلة:

. إنهُ قد ترك مكتبهُ منذُ فترة وجيزة، ولم يرجع إلى الآن... فلم ينتهِ من الحديث معها إلا أنهُ سمع صوتًا يأتي من خلفه قائلًا:

{كل عام وأنت بخير يا بُني..!}

.فتعجب الشاب أنه لصوت العمِ سليمان، فلف جسدهُ للخلف ونظر فوجدهُ يقف وخلفهُ عملاء الشركة جميعًا يحتفلون بعيد ميلاد حمزة، . يقولون لهُ: كل عام وأنت بخير يا مُهندس حمزة، ولكنهم كانوا يقولوها باللغة الإنجليزية، ففرح حمزة من ذلك كثيرًا وقد امتلأ جسدهُ بالقشعريرة من هذه المفاجأة التي لم تختر على باله ومن ذلك الاهتمام منهم ولكنه لاحظ أن مالك لم يوجد بينهم في ذلك اليوم، ثم احتضنهُ العم سليمان وقال له كل عام وأنت بخير يا بُني.. فرد حمزة عليه ووجههُ محمر من خجلهِ من أولئك العمال قائلًا: وأنت طيب يا أبي، ولن أستطيع وصف سعادتي لك الآن من هذه المُفاجأة الجميلة من هذا الأب الجميل....! فتعجب منهُ الرجل من كلمة أبي وقد فرح كثيرًا بذلك، وامتلأ وجهه بالسعادة، ثم قال لهُ:

لا ينبغي أن تذهب إلى المنزل بسيارتي أو بسيارة مالك من الآن يا هندسة ومن هذه اللحظة سوف تذهبُ بسيارتك الجديدة....

. فرد عليه ووجهه قد امتلأ بعلامات الاستفهام، ولم يُدرك ما معنى هذه الكلمات فقال له: سيارتي!

. نعم، إنها هديةُ عيد ميلادك يا حمزة، وإنها تنتظرك الآن في الخارج لكي نذهبَ بها إلى المنزل، وأعطاهُ مفاتيحها الجديدة، ولم يصدق حمزة إلا أن يراها، فظل مصدومًا مما يسمعهُ، فسمع صوت والدهِ يقول لهُ:

هيا اذهب الآن إن الوقت قد تأخر عليك كثيرًا، وإنني أعلمُ أنك قد تعبت اليوم من العمل وحدك، ولكن يجب عليك الحذر في الطريق يا حمزة جيدًا... ثم ذهب الشاب إلى الخارج ونظر إلى تلك السيارة سوداء اللون ضخمة الحجم جميلة الشكل مُبهجة المنظر، وقد فرح فرحًا شديدًا بها، فركب الشاب السيارة، ورأى جمالًا بداخلها لم يرهُ من قبل في سيارات والده، واتجه إلى المنزل لكي يخبرهم عما حدث معه اليوم، وقد كان يقول في نفسه إنني الآن أسعُد إنسان على وجه الأرض قد أخذ الله مني أبي وأمي وأصدقائي وعائلتي وقد أعطاني عائلة أجمل من عائلتي الحقيقية، وقد رزقني بعمل ومال وأخ وأخوات وأمي وأبي لا أرى مثلهم أحدًا، فقد أنعم عليَّ بكثير من هذه النعم ثم دعا الشابُ وهو يقود سيارتهُ، وقال لا تحرمني منهم يا الله،

***

ثم وصل إلى بوابة الفيلا، واتجه للمنزل وقد فتح ذلك الباب، ودخل مُسرعًا للداخل، ونظر فوجد أن الأنوار كلها مغُلقة، وظل يُنادي على أخواتهِ وعلى أي أحد لم يرد عليه أحد إلا وأنهُ قد اتجهَ إلى غُرفتهِ مُباشرة وهو يتحرك على إضاءة كشاف هاتفه، وقبل أن يفتح باب غُرفته، وجد الباب يُفتح لوحده، والأنوار تشتعل من جديد، ونظر فوجد كلًا من الأمِ زينة ومالك وأخواته البنات، ورأى أصدقاء مالك والخدمات والكثير من أصدقاء أخواتهِ البنات، يقولون له جميعًا بأعلى صوت (كل عامٍ وأنت بخيرٍ يا حمزة، كل عام وأنت بخيرٍ يا هندسة) فدهش من ذلك المنظر الجميل ومن

تلك المفاجأة، ولم يدرك أنهم قد فعلوا كل هذا لأجلهِ هو، فقد أدرك حينها أنهم يحبونهُ كثيرًا ثم ذهبوا إليه جميعًا وأعطاه كل منهم هدية له، إلا مالك لم يعطه، فقد قال له مالك:

إن هديتي لك يا أخي قد أخبرك بها، ولكن ليس الآن...

فقد كان قلب حمزة يمتلئ بالكثير من الفرح وهو يقول لهُ:

لا أريد شيئًا إلا أنت يا مالك أنت هديتي التي قد أعطاني إياها الله وإنني أدعه كل ليلة بأنهُ رزقني بك، وأتمنى أن تظل لي سندًا طوال عُمري، فاحتضنه الشاب، ونزلت دموع مالك تتساقط على ملابس حمزة وهو يقول لهُ ما الذي يُبكيك يا أخي..؟

.أخشى أن تُفارقني يومًا، فسوف تكون الحياة من بعدك عذابًا.. وقد فرحت الأم زينة كثيرًا من هذا المنظر الذي تراه أمامهُ الآن وقد أخبرت حمزة قائلة:

هل تعلم يا حمزة أننا لم نكن نعلم بأي شيء عن عيدِ ميلادك هذا ومالك من أخبرنا به، وهو الذي جمع كل هؤلاء لك أنت...؟

ثم دخل عليهم الأب سليمان وقد قال:

قد حصل ذلك يا بُني أن مالك قد استأذن منك بأنه سوف يذهب إلى المنزل مُبكرًا وأتى إليّ بعد أن خرج من مكتبك وقد أخبرني بذلك وقال لي إنه قد رآك تتحدثُ عن تلك السيارة من قبل وأنك مُعجبٌ بها، فجعلني أشتريها لك، ولكن قد أوصاني بأن أشتري أحدث موديل نزل لدى شركة (رينج روفر) التي تتصدر قائمة أغلى السيارات في العالم، والآن أنت أصبحت تمتلك واحدة منها، وقد

قال لي إنهُ سوف يذهبُ إلى المنزل لكي يخبر أخواتهُ وأمهُ وأصدقاءه لكي يحضروا لك ذلك اليوم، ثم قال لهُ إنهُ يُحبك كثيرًا يا حمزة، ونحنُ أيضًا، ففرح حمزة كثيرًا بهذا الحديث قائلًا له والابتسامة تملأ وجهه: . هل تعلم يا مالك أن كل ذلك ليس لي دخل به، ولن أتركك إلا وأن أخذت منك هديتي، وإن لم تأتني بها، فسوف أخصم لك أيامًا من عملك أيُها المبتدئ...!

فضحكوا جميعًا بهذا الحديث، وعانق حمزة مالك، واقترب إليهما والدهما وأمهما وأخواتهما وقد نزلت دموع الفرحة من عين حمزة، وظل يبكي ويقول:

(لا أعلمُ ما بيني وبين ربي بأن يُعطيني عائلة مثلكم، ولا أستطيع شرح مدى تلك السعادة التي أنا بها الآن، لأني قد رأيتُ ما معنى كلمة عائلة الآن تخاف أن يحدث لي شيء غير الفرحة والسعادة دومًا وليس الحزن والعذاب والحبس في غرفة منفردًا، وتهتم بي اكثر من اهتمامي لنفسي أنني لن أستطيع إلا أن أقول لكم غير أنني أحبكم جميعًا وأنكم أجملُ شيء قد حدث لي على الإطلاق، فقد رزقني الله بكم، ولا أعلمُ ما كل تلك النعم التي رزقني بها؛ من أبٍ حنون وأمٍ تخاف عليَّ كما تخافُ على ابنها وأخٍ يُحبني أكثرَ من نفسهِ، وأختين يعشقان التراب الذي أمشي عليه، ويأخذان رأيي في كل شيء وغير كل ذلك الاحترام والاهتمام الذي يوجدُ بيننا، لا أستطيع وصف كل ما أشعر به الآن، لأنني إن فعلتُ ذلك، لم يكفني عام كامل) . فردت عليه الأم قائلة لهُ: إننا جميعًا نحبك أيضًا يا حمزة وأنت أصبحت واحدًا منا من بعد دخولك علينا المنزل، ولم نرَ منك شيئًا خاطئًا

يجعلنا لم نثقُ بك أو نكرهك...

ثم قال لهم:

وأنا أحبكم كثيرًا..

وكل ذلك وهؤلاء الغرباء يقفون ويتعجبون مما يسمعون ويرونه أمامهم إلا أن انتهى الحديث بينهم، وخرجوا جميعًا من الغرفة، وظل يجلس بمفرده، ويُفكر فيما يحدث لهُ، وأن ذلك لم يخطر في باله مرةً واحدة بأنهُ سوف يرى في حياتهِ شيئًا هكذا، ونام الشاب وهو في أجمل الأيام إلى قلبهِ، فقد أتى الصباحُ مُجددًا، وقد ارتدى حمزة ملابسهُ، ونزل إلى المنزل مُنتظر مالك كعادة كل يوم لكي يفطرا معًا، ويذهبا إلى الشركة معًا، فلم ينزل مالك وقد تأخر الوقتُ كثيرًا عليه، فذهب إليه حمزة لكي يوقظهُ من نومهِ، فظل يطرق عليه الباب، ولكن لم يرد عليه، ولا يوجد صوتٌ خارج منه وقد قلق عليه الشاب، ففكر بالاتصال على هاتفهِ لعلهُ قد نزل إلى العمل مبكرًا، فاتصل عليه، فسمع صوت هاتفهِ يرن بداخل الغرفة، ولم يفتح مالك الباب إلى الآن، فازداد الشاب توترًا وقلقًا عليه، ففتح الباب عليه، فوجد مالك مرميًا على الأرض كأنهُ قد فقد روحه، فحملهُ وذهب به إلى المستشفى بأقصى سرعة بسيارتهِ الجديدة، إلا أن وصل به إلى هُناك وقد أتوا المُمرضات، وحملوا مالك وأدخلوه غرفة العمليات فورًا، ولم يعلم أحد في المنزل عن شيء هكذا إلا أن المهندس عاصم زوج سارة قد رن على حمزة، وقال لهُ: كل عام وأنت بخير. ثم سألهُ عن سبب تأخيره حتى الآن هو ومالك...؟

.فرد عليه قائلًا: لن نأتي اليوم، لأننا سوف نحتفل بعيد ميلادي أنا وهو فقط، ثم أغلق المكالمة، وكان الشاب ينتظر في الخارج، ويبكي على مالك ويدعي ربهُ ألا يصيبه شيء ظل مُنتظرًا كثيرًا إلى أن يأتي إليه أحد من الداخل ويطمئنه على أخيه...

وقد ظلوا اكثر من ساعتين يخرجون مُسرعين، ويدخلون مُجددًا ولا أحد يقف يطمئنهُم عليه، وهو يقفُ في الخارج وجههُ قد امتلأ بالحَمار الشديد من كثرة خوفه، وقد كاد القلق أن يقتلهُ على أخيه وهو ينظرُ لأعلاه ويدعو ربه، وسرعان ما أتى إليه الطبيب وقال لهُ الحمد لله يا بني إنك قد أتيت به في اللحظةِ المُناسبة...

فقال لهُ مُسرعًا أخبرني يا دكتور أخي بخير....؟

الطبيب: إنهُ بخير، وتستطيع أن تراه بعد ساعتين من الآن، ثم اطمأن الشاب وهدأ قلبهُ قليلًا، ثم قال للطبيب ما الذي حدث لهُ...؟ . فرد عليه الطبيب قائلًا: قد أصيب بأزمةٍ قلبية، ولكنك قد ألحقت به في اللحظة المُناسبة قال الحمدُ لله على كل شيء ثم انتظر حتى فاق مالك ودخل إليه ثم لم يجد مالك أحدًا من عائلتِه بجانبه إلا حمزة وتلك الورود التي توجدُ في هذه الغرفة؛ فنظر إلى حمزة وقال له ما الذي حدث لي..؟ فقال له إنك تعبت من ليلة البارحة، ثم قال له مالك: وأين أبي وأمي يا حمزة.؟

فرد عليه قائلًا: إنهم الآن لم يعلموا بأي شيء عما حدث لك يا مالك وأننا سوف نذهب معًا إليهم، ولكن ما عليك الآن إلا أن ترتاح قليلًا حتى يأذن لنا الطبيب بالمغادرة، وبعد مرور أكثر من ساعة لم

يتصل بهم أحد إلا أن أم مالك قد اتصلت به بعدها ببضع دقائق ورد عليها مالك وحكى لها ما قد حدث وقال لها إنني الآن في المستشفى، وحمزة كان في الخارج يدفعُ مصاريف المُستشفى، ولم يعلم عن ذلك الموضوع شيئًا إلا أنه قد فوجئ بأبيه سليمان وأخواته وأمه قد دخلوا من باب المستشفى مُسرعين، ووجد حمزة مُنتظرًا في الخارج فقال له الأب سليمان ونبضات قلبه تتسارع كأنهُ يصعد على سلم طويل الدرجات قائلًا لهُ: ما الذي حدث يا بُني..؟ ألم يتصل بك عاصم وقد أخبرتهُ بأنك ذهبت أنت ومالك للاحتفال بعيد الميلاد مُجددًا... فقال لهُ وهو ينخفضُ برأسه للأسفل: إنني كنتُ أكذبُ عليه ثم حكي لهُ ما قد حدث، ولكنه قد خبأ عليهم ما قال لهُ الطبيب فدخلوا مُسرعين إلى الغرفة التي يوجد بها مالك وقد وجدوا مالك بحالة جيدة، فذهب الأب سُليمان إلى الطبيب وقال لهُ ما الذي قد أصاب ابني يا طبيب..؟ فحكى له الطبيب عما حدث وأخبرهُ قائلًا: لولا أخوهُ ذلك لحق به في اللحظةِ المناسبة، فإننا قد كنا الآن نفتقد المريض، فشكر الرجل الله ثم قال للطبيب شكر لك وذهب إلى حمزة واحتضنهُ وقال له إنك الآن يا حمزة قد سددت الذي كنت تريد أن تفعلهُ...، فرد عليه الشاب قائلًا: ما الذي تقصدهُ من تلك الكلمات يا أبي..؟ فقال لهُ: إن الطبيب قد أخبرني بكل شيء قد حدث وقال لي لولاك أنت أتيت بأخيك في اللحظةِ المُناسبة، فكنا الآن فاقدين لمالك، فرد الشاب: إنني لم أفعل أي شيء حتى الآن لكي أسدد ما علي من دين لك، وأما مالك، فهو أخي ولو حدث له شيء فإني كنت قد فعلت بنفسي شيئًا بعدهُ، لأني لن أستطيع

العيش دونه، فقالت الأمُ لهُ: الله يحفظكم جميعًا يا بُني.... . فبعد مرور تلك المُحادثة الطويلة التي حدثت بينهم، إلا أنهم قد أخذوا مالك من ذلك المستشفى، وذهبوا به إلى المنزل وقد جاء الصباح من جديد، وبعد أن رتب حمزة نفسه إلى الذهاب إلى العمل، فذهب إلى غرفة مالك وقد عانقهُ وقال له: الآن سوف أذهب إلى العمل وأنت يجب عليك أن تستريح وترجع إلى العمل مُجددًا، وإذا احتجت إلى شيء، فاتصل بي وأخبرني إياه، ثم تركهُ وذهب إلى عملهِ.... . وفي هذا اليوم، أتت أول دفُعة تخرج هندسة للتقديم إلى العمل في الشركة، وحمزة المسؤول عن توظيف تلك العُمال، فمر عليه أكثر من يومين ومالك لم ينزل إلى العمل، بينما هو قد كثر عليهِ العملُ بمفرده إلا وأن مالك بعد ثالث يوم رأى أن حمزة قد بان على وجههِ التعب من العمل وحده، فقد نزل معهُ العمل مالك بعد ثالث يوم من جلوسهِ في المنزل، ولما ذهب إلى عمله مُجددًا، وكان حمزة يخاف على مالك أن يصيبهُ شيء آخر إلا أن أتى اليوم الذي لم يخطر على بال حمزة، فهو يوم التقى النصيب مرةً أخرى.....

***

ففي صباح يومٍ جديد من توظيف تلك العُمال للشركة قد دخل إليه مالك وقال له إن أبي يُريد أن يراك الآن في مكتبه. فذهب إليه الشاب ولكن في تلك اللحظة قد رأتهُ الفتاة وهو يرتدي البِذلة ويبان عليه الهيبة من منظرهِ الآن، بعد أن ترك البلدة وغادر ولم تتوقع قط أن تراه هنا في هذه الشركة أنها (عائشة) مُجددًا فقد أتت إلى هُنا بعد إنهائها عامِها الثاني في كلية الهندسة، ولم تُكمل تعليمها، بعد

وفاة والدها، لم تجد أحدًا يصرفُ عليها، فقد تركت دراستها، وأتت إلى هذا المكان لكي تبحث عن وظيفة، إلا وأنها قد رأتهُ في ذلك اليوم وهو لم يرها، فقد احمر وجهها، ولما دخل مكتب والدهِ، ظلت تنتظرهُ إلى أن يخرج من ذلك المكتب، ولكنهُ ظل يتحدث مع أبيه كثيرًا، كان والدهُ في ذلك اليوم أخبرهُ أنهُ قد أكمل عامهُ الواحد والعشرين، وأراد منه أن يتزوج، وفي اللحظة نفسها التي قد خرج فيها الشاب من المكتب قد ذهبت الفتاة من أمام المكتب، لأنها قد سمعت أحدًا من أصدقائها الذين قد أتوا معها من تلك البلدة يُنادي عليها ويقول لها إننا ذاهبون الآن إلى المنزل يا عائشة، وسوف نأتي غدًا....؛ فذهبت معهم، ولم تنم الليل وهي تدعو ربها أن تلتقي حمزة مُجددًا، فجاء الغد وهي ذاهبة إلى الشركة، ولم تعلم بأي شيء عن حمزة، ولم تعلم ولم يخطر على باله ولو لمرة بأنه أصبح الآن المهندس حمزة وهو المسؤول الأكبر في توظيف العمال في تلك الشركة، ولا تعلم ماذا حدثَ معهُ إلا أنها قد ذهبت إلى الشركة في الصباح على أمل أن تراه، وظلت مُنتظرة إلا أن يأتي ذلك المدير الذي سوف تقدم أوراقها لديه، فقد تأخر كثيرًا حمزة في ذلك اليوم وهو المسؤول عن ذلك، ولكنه لم يأتِ إلى الشركة اليوم، ولما علمت الفتاة بأن المُدير سوف يغيب اليوم، ظلت تبحثُ عن حمزة في الشركة، ولكنها لم تجدهُ، ولم تسأل أحدًا عنهُ، ثم ذهبت إلى منزلها هي وأصدقاؤها في مسكنهم الذين يجلسون به في المدينة، وها هو حمزة لم يذهب إلى الشركة، لأنه قد تعب هو ومالك من تلك الأيام التي مضت، ثم ذهبوا هم الاثنان في جولة حول تلك المدينة بسيارة

حمزة، وفي ذلك اليوم، كانت الفتاة وأصدقاؤها ينوون أن يخرجوا هم أيضًا في لكي يروا جمال المدينة، ولكن الفتاة لم تخرج معهم بسبب تفكيرها وانشغالها بحمزة، فخرجوا هم وتركوها وظلت تجلس في المنزل بمفردها، وقد جلس حمزة مع مالك يتحدثان في مقهى بجانب الطريق في الطابق الأرضي لم يدخلهُ إلا الذي يمتلكُ أموالًا كثيرة، فقد وقد مر أولئك الفتيات من جانب سيارة حمزة، ووقفن بجانبها وظلوا يتصورن أمامها، فنظر إليهن حمزة، وتذكر أيام بلدته، وكان يسعدُ كثيرًا، حينما يرى شيئًا جميلًا هكذا، ثم ترك المكان مُتجهًا إليهم، وقبل أن يصل، سمع صوت الفتاة تقول حرامي قد سرق موبيلي... فلما سمع الشاب هذا الصراخ، ذهب مُسرعًا إلى قيادة السيارة وذهب خلفهُ إلا أنهُ قد هربَ منه في هذه الشوارع الداخلية، فرجع إلى الفتاة ووجههُ يبان عليه الحزن، فقد أوقف سيارتهُ وقد أخبرهم أن يركبوا في الخلف جميعًا، وركب مالك بجانبه، ولكنهم قد رفضوا ذلك، ثم تحدثت إليه الفتاة صاحبة الهاتف قائلة: أين هاتفي...؟ اصعدوا للسيارة، وسوف نذهبُ لك نشتري لك هاتفًا جديدًا بدلًا من ذلك.... قد فهمتُ ما أريدهُ منكم أم لا..!؟ فصعدوا هم الثلاثة إلى السيارة، وقد كانوا في غاية الاندهاش من جمال هذه السيارة، وقد أخرجت واحدة منهم هاتفها، وظلت تتصور داخلها، وتلك الفتاة صاحبة الهاتف المفقود لم تكن سعيدة قط بسبب فقدانها لهاتفها، فقد تحدث لها حمزة والابتسامة على وجهه قائلًا: عارفة كل اللي حصل ده بسبب أنني لم أأذن لك بأن تقفي وتتصوري بجانب سيارتي، ثم نظر إليها في المرآة

وهو يرفعُ حاجبهُ، ويُقشعر في وجهه لكي يُضحكها، فابتسمت وضحكن الفتيات، ثم قال لها: مديقيش نفسك إحنا أهو في الطريق وهنرجعلك موبيلك من جديد. فأكمل طريقهُ حتى وصل إلى محل الموبيلات، ودخل إليه، وأخرج كرت المُشتريات الخاص به، واشترى لها هاتفًا من أحدث الهواتف التي توجدُ في السوق، مثل هاتفهِ الذي يحملهُ، ولم تحلم الفتاة يومًا ما بأن تحمل مثل هذا الهاتف... فلما ذهب إليها، وأعطاها الهاتف، فشكرتهُ جدًا على هذا الهاتف الجميل، ولما رأوه أصدقاؤها قد قالت واحدة منهم: إنني الآن سوف ألقي بهاتفي هذا في الشارع لكي تشتري لي أنا أيضًا واحدًا مثلها.... فضحك حمزة، وأخرج من وراء ظهره هاتفين آخرين يُشبها هذا الهاتف قائلًا لهم: . إنني كنت على علم بأنكم سوف تحزنون كثيرًا من أن تحمل صديقتكم هذه الهواتف وأنتم لا.... فشكروهُ جميعًا، ثم ذهبوا مُتجهين إلى منازلهم وهم في غاية السعادة وهو أيضًا ذهب مع مالك إلى البيت، فلما دخلوا إلى صديقتهم عائشة، ورأيت تلك الهواتف وقد حكوا لها ما حدث وعن هذا الشاب، فحزنت قليلًا وقد قالة يارتني كنت رحت معاكم على الأقل كنت طلعت بواحد زي ده، لأني لو قعدت أشتغل طول عمري مش هعرف أجيبه، ولكن أنا عارفة نفسي كويس حظي في الدنيا قليل ولكن الحمدُ لله على كل حال... ذهبوا جميعًا يحتفلون بهذه الهواتف، وعائشة ما زالت تُفكر بحمزة وهي نائمة على السرير إلا أن غلبها النُعاس، ونامت....

فلما أتى الصباح مُجددًا، ذهبوا إلى الشركة من جديد، وذهب

حمزة ومالك قبلهم في ذلك اليوم، وقد وصلوا إلى الشركة، وبدأوا يدخلون إلى حجرة المدير (حمزة) واحدة تلو الأخرى إلا أن أتى الدور على عائشة قبل أصدقائها....!

***

- ها هو قد أتى اليوم الذي لم يخطر على بال حمزة من قبل، فدخلت الفتاة إلى الغرفة، وأنزلت رأسها إلى الأسفل؛ احترامًا لهذا المُدير وقالت لهُ أتأذن لي بأن أقدم نفسي يا سيدي...؟ فسمع حمزة صوتها، ثم نظر إليها، فتعجب من ذلك الالتقاء بينهم من جديد، ولم يخطر على باله شيء هكذا من قبل إلا أن مالك قال لها تحدثي، وهو يجلسُ بجوار حمزة، فبدأت الفتاة تُقدم نفسها وحمزة يستمُع إليها وهي لم تنظر إليه، بل تنظر إلى الأسفل خجلًا منه، ثم همس في أذُن مالك قائلًا له: اخرج إلى الخارج الآن واتركني معها. فنظر إليه مالك باستغراب ولكنهُ قد سمع كلامه، وخرج من المكتب، ثم نظر حمزة إلى عائشة قائلًا لها:

لِمَ لا تنظري إلى وجهي أيتُها الفتاة...؟

فتعجبت الفتاة من صوت المُتحدث إليها، ثم نظرت لهُ وقالت له بكل دهشة حمزة..!

فرد عليها والابتسامة لا تُفارق وجهه: أجل، إنهُ حمزة يا عائشة..!

فقالت لهُ ما الذي تفعله هنا..؟

قال الشاب: لم أتخيل يومًا واحدًا أننا سوف نلتقي مرة أخرى،

ونلتقي هكذا أنا المُدير وأنتِ العاملة...!

فنظر إليها وابتسم قائلًا: إن الدنيا دوارة يا عائشة؛ هو الذي أمامك هو الشخص الذي قلت لهُ إنك شخص عادي، ولكن هو الآن أصبح شخصًا مسؤولًا عن توظيف الذين لم يجدوا وظيفة مثلك تمامًا، ها تدركي جيدًا ما معنى هذه الكلمات..؟

فردت الفتاة قائلة: أنا مدركة جيدًا، ولكن قل لي ما الذي حدث معك في كل تلك الفترة يا حمزة ولماذا اختفيت فجأة، ولم اعلم عنك شيئا...؟

فرد قائلًا: ليس لدي وقت الآن إنهُ وقت العمل، وليس وقتنا، فقالت لهُ سوف أنتظرك حين تنتهي من عملك، لأنني بحاجة إلى الحدثِ معك كثيرًا، ثم ذهبت الفتاة للخارج وهي في غاية السعادة مما حدث

ثم أتى مالك وقال له من هذه الفتاة يا حمزة الذي قد جعلتني أنتظر في الخارج من أجلها..؟

- إنها عائشة يا مالك الذي قد حكيت لك عنها سابقًا... .أتقصد فتاة البلدة..؟ . أجل هي؛شوفت الدنيا دوارة إزاي قد جمعني النصيب بها مُجددًا .أما زلت تُحبها يا أخي....؟ .لا أدري ماذا يحدثُ لي في آخر مرة قد قرأت رسالتها كاد قلبي أن ينفجر من سرعته، والآن حينما التقيتها أيضًا قد حدث شبهُ ذلك..! وماذا قالت لك حينما رأتك..؟ . إنها سوف تنتظرني حتى أنتهي من عملي اليوم، ونذهب معًا إلى مكانٍ ما لكي نتحدث معًا، فقال له الشاب: اذهب معها يا

أخي لعلها تخبرك بشيء عما حدث، أنت لم تعلم عنهُ شيئًا.... . ثم قال له حمزة ليس لدينا وقت الآن اجعلنا نُكملُ عملنا الآن، ونتحدث في ذلك الموضوع حين ننتهي... . ثم دخلت عليهم أحد الفتيات الذين قد التقي بهن في ليلةِ البارحة، فرأت حمزة وهو من يجالس على مكتب المُدير، فصُدِمت الفتاة، وكانت متوترة إلا أنها قد قدمت نفسها، وخرجت إلى الخارج وقالت لأصدقائها إن المدير الذي يوجد بالداخل الشاب صاحب هذه الهواتف الذي أعطاني إياها في البارحة، فسمعت عائشة ما قالت صديقتها، فردت عليها قائلة:

هو من اشترى لكم هذه الهواتف..؟ أجل إنهُ نفس الشخص بحلاوته وهيبته. فغضبت عائشة من هذا الحديث عن حمزة، ثم مر أكثر من ثلاث ساعات والفتاة تنتظره بأن يخرج إلا وأنه قد أرسل إليها مالك وأخبرها بأن حمزة يقول لكِ إنهُ سوف يتأخر في العمل اليوم. وقال لها اذهبي أنتِ إلى منزلك الآن، وغدًا حمزة سوف ينهي عمله مبكرًا، وينتظركِ، ثم قال لها هذا وذهب وظلت تُفكر بأن تنظره أم تذهب وحارت في ذلك إلا أنها قد قررت الانتظار، وظلت مُنتظرة ساعتين إلا أنه لم يخرج من الداخل فيأسه ثم قالت: إنني سوف أذهب الآن، وألتقي به غدًا، وقبل أن تذهب، خرج حمزة من الداخل ورآها تذهب، فنادى عليها قائلًا لها أين تذهبي يا عائشة..؟ فأتت إليه قائلة: إنني أنتظُرك لماذا لم تخرج مبكرًا..؟ ألم يأتِ إليكِ مالك ويخبرك بأنني سوف أتأخر...؟ بل آتي، ولكنني قد انتظرتك لأنني بحاجة للحديثِ معك، ثم قال لها: تعالي معي ثم ذهبوا إلى

المكان الذي يركن به سيارتهُ، وفتح بابها بهذا الريموود الإلكتروني الذي يمسكهُ بيده وقال لها اركبي.... فاندهشت الفتاة من تلك السيارة ومن جمال لونها، ولما دخلت إليها قد تعجبت من منظرها الداخلي ثم قالت له: إنها حقًا سيارتك الخاصة يا حمزة أم سيارة العمل..؟ . فرد عليها بكل سخرية: بل سيارتي يا عائشة، ألم تُعجبك...؟

بل والله قد ادهشتني وليس أعجبتني فقط، وأنني لم أرَ مثلها من قبل، ثم تحرك بالسيارة وهي في حَيرة ودهشة عما حدث لحمزة وما قد وصل إليه في أقل من سنتين من تطور جسدي ومالي، ثم ذهبوا إلى مكانٍ ما يُسمى (كابلز) عبارة عن مقهى ولكن خاصة لم يوجد به عائلات ولا أشخاص بمفردهم يوجدون هناك كل فتاة وشاب يجلسون مع بعضهم، ثم ذهبوا وجلسوا يتحدثون، ثم طلب حمزة طعامًا لهُ ولعائشة وأول ما أتى الطعام بدأوا في الحديث: . فسألها الشابُ قائلًا: ما تلك الرسالة التي قد قرأتها منذ فترة..؟

فقالت له لم أعلم عن ماذا تتحدث وعن أي رسالة تقصد..؟ لا أرِيد أن أعلمَ عنها شيئًا، ثم قال لها هيا بنا لكي نُغادر. فأمسكت يديه قائلة له، وحشتني يا حمزة، ثم نظر إليها وعقلهُ لم يستوعب حتى الآن ما يراه، فتحدث إليها (رغم كل شيء قد حدث بيننا وكل شيء قد رأيتهُ معك في تلك الأيام التي لم يحس بي أحد، ولا يعلم سوى ربي ما كنت بها من أيام قد كثر علي فيها الحُزن، وانكسر قبي، ولم أعد أنا بعدها إلا وإن تلك الأيام قد مضت ونحنُ الآن في اليوم وليس في الأمس، ثم قال أنا أحبك يا عائشة، ولم أحب غيرك قط حتى في

كل تلك الفترة التي كنتِ بعيدة عني بها، أه أنتِ لحظات بتبقي في بالي بس معظم وقتي كنت ناسيكي وبرضو مع كل ده أول ما شوفتك قدامي في المكتب كل حاجة اتقلبت) ثم جلسوا وأكملوا الطعام، ثم أخبر حمزة عائشة عن كل ما حدث له من أول خروجهِ من البلدة إلى تلك اللحظة، فلما انتهوا من حديثهم هذا قال لها بكل سخرية هيا بنا نذهبُ من هنا ولا ناوية تنامي هنا كمان فضحك وقالت لهُ: سوف نُغادر يا خفيف..... فنظر إليها برفعة حاجبهِ قائلًا: لم أرَ من قبل موظفة تُعامل مُديرها بهذا الشكل...؟! فذهبا من هذا المكان وهما في السيارة كانا يتبادلان النظرات بينهما، فقد وصلها إلى البيت وقال لها من يعيش معكِ هُنا؟ فردت قائلة: أنا وأصدقائي وإن استلمت عملي في الشركة، سوف تأتي والدتي وتُقيم معي هُنا، فقال لها: ألم يُعجبك هذا المُدير الذي أمامك يا عائشة..؟ إنك الآن أصبحتِ تعملي في الشركة، فقد وافقت على طلبك للعمل معنا في الشركة، فهيا اذهبي إلى الداخل، وأخبري والدتك أن تأتي لكي تُقيم معكِ؛ فتعجبت عائشة من هذه الكلمات إلا وأنها قد أخبرتهُ قائلة: لم أسمع أروع من هذا الحديث من قبل ولا أحسن ولا أجمل من ذلك المُدير الذي يجلسُ بجانبي الآن..! فأضحك الشاب ثم جلسا يتبادلان الحديث في السيارة إلا أن الوقت قد تأخر عليهما كثيرًا وهما يتحادثان وبالتحديد الفتاة ثم اتصل مالك على حمزة قائلًا لهُ إنني أنتظرك من فترة هتأتي الآن ولا أذهب إلى النوم..؟ فقال لهُ: إنني الآن في الطريق إليك، ثم نزلت الفتاة، وذهبت إلى الداخل وهي في أسعد يوم لها على الإطلاق، وذهب حمزة إلى المنزل، ثم دخل إلى

الداخل، فرأى مالك ينتظره ثم خرجا إلى غرفة حمزة، وظل حمزة يحكي لهُ عما حدثَ في يومه هذا، ففرح مالك بسماع تلك الأخبار وقال لهُ إنني الآن أسعد إنسان على وجه الأرض يا حمزة..!

حمزة: لماذا تقول هكذا يا مالك..؟ فقال لهُ لأني قد رأيت ابتسامتك تملأ وجهك، ورأيتك في كامل سعادتك الآن يا أخي...

- فقد أسعدت حمزة تلك الكلمات التي قالها مالك له، ثم قال لهُ حمزة: إنك عندي أغلى من أي حد يا أخي، ولن يأتي أحد ينتزع غلاوتك من قلبي، فأنت الأخ والصاحب والسند يا صغيري..! اعلم يا أخي، سوف أذهبُ الآن إلى غُرفتي هل تُريد مني شيئًا..؟

***

فترك حمزة بمفرده، وذهب إلى الغرفةِ، بينما الشاب لم يستطع النوم من التفكير في الفتاة وهي كذلك لم تستطع النوم، ظلت الفتاة تتذكر ما قد حدث معها اليوم، وظل الشاب مستيقظًا إلا أنه قد أدرك أن لديه عمل في الصباح، فيجب عليه النوم الآن فذهب إلى فراشه، وغلبه النوم، فنام واستيقظ في صباح يومٍ جديد يوم يمتلئ بالحب، ثم ذهب إلى الشركة مع مالك والتقى الفتاة هُناك وقد عينها مُساعدة له لكي لا تبعد عنه كثيرًا، فقد قال لها أخبرتِ والدتك بأن تأتي...؟ . إنها الآن في الطريق إلينا، فظل الشابُ يقضي أيامه هكذا يستيقظ من النوم هو ومالك ويأخذه ويذهبوا إلى عائشة في منزلها ينتظرها أن تنزل إليهم، وتركب معهم، ويذهبوا إلى العمل، وينتهوا

من عملهم، ثم يوصل حمزة عائشة للمنزل، ويذهب هو إلى منزله، وكانوا أيامًا يخرجون من العمل، ويذهبون مع بعض هم الاثنان في هذا المكان مُجددًا، ويجلسون يتحدثون، وكل يوم كانوا يتحدثون في الهواتف، ومر على ذلك أكثر من شهر على ذلك الوضع...

***

في ذات ليلة، جاء خبرٌ إلى مالك بأن أختهُ الأكبر سارة قد أتى موعد وضعتها وهي الآن في المستشفى، ووضعها يزدادُ سوءًا، فذهب الأب والأم إليها والجلوس بجانب ابنتهما، وقد أخبر الأب أولادهُ بأن يُدير حمزة ومالك الشركة بدلًا منه، وتبقى عائشة المسؤولة عن تعيين العُملاء، فازداد العمل عليهم، وازداد التعب، وقد مر على ذلك أكثر من أسبوعين، بعد أن وضعت وأتت بطفلة صغيرة تُسمى (سهر) وما زال حاله يزدادُ سوءًا؛ وجاء يوم من تلك الأيام الذي كان به حمزة مُديرًا للشركة جاءت إليه فكرة بتطوير تلك الشركات الخاصة بهم بدلًا من أن تكون من أكبر الشركات في الشرق الأوسط ففكر بجعلها تكون من أكبر الشركات في العالم وهي فكرة عملٍ ما سوف منه إفادة للبشر وأيضًا شهرة لاسم الشركة، فجمع قليلًا من عملاء الشركة ومعهُ مالك أيضًا، ولكنه لم يخبر أحدًا عنه إلا مالك وأولئك الذين اختارهم فقط، وظل يعمل عليه، ويجاهد في عمله يوميًا، وقد مر عليه أكثر من ثلاثةِ أسابيع لحد أنهُ قد انتهى منه، ولكنه جربه، لم يعمل وقد فشلت التجرِبة بعد كل ذلك الوقت، ولكن لم ييأس، رغم أن جميع من كانوا معهُ تركوه، وذهبوا

لعملهم في الشركة سوى مالك، فتواعد هو ومالك بأن يجهزوا بمفردهم من الآن وظلوا يعملون عليه، ولم يناموا كثيرًا في تلك الأيام، ولم يهدأوا قط

***

- ففي يوم من تلك الأيام الذي كان فيها حمزة ومالك يعملان على هذا الشيء قد أتى إليهم الخبر بأن أختهم سارة قد فاقت الآن وأن حالتها قد تحسنت وسوف يذهب بها إلى المنزل في صباح الغد، بعد أن مر عليها أكثر من شهر هُناك؛ فذهبوا إليها في المستشفى لكي يطمئنوا عليها، وأنهم كانوا يذهبون كل ليلة، بعد أن ينتهوا من العمل، ولما أتى الغد عليهم، قد أخذوها إلى المنزل، فسألهم الأب عن أحوال الشركة ثم قالوا لهم: هل كل شيء على ما يرام...؟ . مالك: كل شيء كما تركتهُ ولكن الشركة تنقصك أنت يا أبي. فقال لحمزة: سوف أذهب إلى العملِ غدًا يا حمزة افعل كل ما ينبغي لك ترتيبه لي هُناك.... رد حمزة قائلًا: أستأذنُك للذهاب الآن أنا ومالك لكي نُجهز لك كل شيء يا أبي... . فذهبوا إلى هُناك وقد أخبر كل من يوجد في الشركة أن المُهندس سليُمان سوف يأتي غدًا إلى مكتبهِ، فيجب أن يكون كل شيء على ما يرام، وتبقى الشركة كما كانت... . ثم ذهب إلى الخارج ومعهُ مالك مُتجهين إلى تكملة هذا العمل مُجددًا إلا أن أتت عائشة وقالت لحمزة إنني أريد التحدث معك الآن ثم ذهب مالك إلى السيارة ينتظره حتى ينتهي فقالت لهُ: أين تذهب كل ذلك الوقت أنت ومالك وتتركان الشركة وأنتما المسؤولان عنها.؟ فرد وقال:

سوف تعلمي بكل شيء ولكن في وقته يا عائشة. وتركها وغادر، ثم ذهبوا إلى المصنع القديم الذي يعملون به، وأكملوا ما تبقى من هذا العمل وقد جربه حمزة هذه المرة فنجحت التجربة، فسجله حمزة باسم الشركة، وظل ينتظر الموافقة عليه من المؤتمر الذي سيقام له بعد أسبوع من الآن، وفي صباح اليوم التاني، اتجه إلى الشركة، واستلم الأب العمل، ومالك هو مَن قام بدور حمزة مع عائشة بينما حمزة قد مسك بدلًا من عاصم، وعاصم ذهب لكي يتولى إدارة شركة أخرى تابعة لهم، وفي ذلك اليوم، جاء التقرير إلى الشركة وقد استلمهُ الأب، ثم فتح الجواب وبدأ يقرأ ما بداخله، وفوجئ الرجل بأن هذا الشيء باسمه، ثم قرأ جيدًا ما مكتوب به ولفت انتباهه شطر مكتوب به (قوبِل هذا العمل باسم كل من مهندس أول سليمان شفيق؛ والثاني حمزة مُصطفى؛ والثالث مالك) ففوجئ الرجل من هذه الورقة وهو لم يعلم ما الذي حدث في غيابهِ ثم بدأ يسأل نفسهُ قائلًا أيعقل هذا؛ أنهُ ليس من صنع يدي..؟ فخرج من مكتبهِ واتجه إلى المكان الذي يقفُ لكي يلقي به كلمة على عُملائه ثم جمعهم أسفله؛ فسألهم جميعًا قائلًا:

. لمن هذا الجواب وما الذي حدث في غيابي...؟ فردوا جميعًا بصوتٍ واحد قائلين (المُدير السابق))... ثم قال: اقتصدوا حمزة أم مالك..!؟ فقالوا نعم، إنهُ المهندس حمزة مُصطفى، فقد كان حمزة في تلك اللحظة يجلس مع مالك في مكتبه ولا يدرون بشيء، فقد سمعت عائشة عما يتحدثون عنه، فذهبت إليهم مُسرعة، وأخبرتهم عما يحدثُ في الخارج خرجوا مُسرعين ثم نظر حمزة

للأسفل، فوجد والده يمسكُ بتلك الورقة بيده ويقف أمامهُ عملاء الشركة وهو ومالك وعائشة يقفون في الطابق الثاني، فنظر لهم الأب قائلًا: (أنا لا أدري أي شيء عما فعلتموه ولكنني فخور جدًا بكم) ثم بدأ عملاء الشركة جميعًا يشجعون حمزة ومالك بالتسقيف لهم، وعمت الشركة بالأصوات العالية من هذه السقفات فنظر إليهم الشاب وتحدث ودموع الفرحة تتساقط من عينه ويقول لهم تلك الكلمات التي خرجت من فمه وذهبت مُباشرة إلى قلوبهم، فقد تأثر كثيرًا من هذا الحديث وبالتحديد حينما أخبرهم عن قصته واحتواء هذه العائلة لهُ... كان مشهدًا حزينًا للغاية ومؤلمًا، حينما بكى الشاب أمام الجميع، بعد أن انتهى من حديثهِ هذا ثم سقفوا جميعًا لهُ مرةً أخرى، وكانت الشركة في أشد الأيام فرحًا، ثم تحدث المُدير قائلًا: بمناسبة ذلك اليوم فسوف يُصرَف لكم نص المُرتب في هذا الشهر مُكافأة على هذا العمل الذي قام به حمزة ومالك، بعد أن انتهوا، دخل حمزة ومالك إلى مكتب المُدير، وأمرهم بأن يتزوجوا بذلك المبلغ الذي سوف يأخذهُ من المؤتمر غدًا

***

. وفي صباح يوم جديد، اتجه كل من الأخوين ووالديهما وأيضًا الفتيات وبعض من عملاء الشركة، وذهبت عائشة مع أخواتهِ الفتيات، وكرمت اللجنة كلًا من مهندس أول سليمان شفيق وثاني حمزة وثالث مالك، وحينما طلع الأب سليمان أمام اللجنة، وألقى كلمته، فبدأ يتحدث قائلًا (أنا سليمان شفيق رجلُ الأعمال الكبير وصاحب تلك الشركات، ولكنني هنا الآن ليس لذلك، بينما أنا الآن سوف أخبركم بأنني لم أعلم أي شيء عن هذا العمل، ولا أدري إلى الآن كيف يُفيد البشر وما هو أصلًا؟ لأنه ليس من شأني إنما هو من شأن كل من أبنائي، هم من قاموا به، ولكنهم قد أنسبوه لي، لأني أنا والدهم، وها أنا الآن أتنازل عن حقي منه باسمهم} فبدأ الناس تشجعهُ على ما قالهُ وغيرت اللجنة ذلك، ودعت مالك للصعود على هذا المسرح أمام كل من يوجدُ... فقال مالك (إنني ليس لدي شيء أخبركم به سوى شيء واحد وهو أن تلك الفكرة فهي فكرة أخي المُهندس حمزة وهو من تعب في تنفيذها، فأنا مُجرد مُساعد لهُ، وإنني أعلم كم الليالي الذي قد قضاها في هذا العمل، وها أنا أيضًا أستأذنُ اللجنة بأن تُنسِب ذلك العمل باسم المهندس حمزة فقط وشكرًا) فنزل الشاب من على المسرح، وصعد حمزة ووجههُ مليء بالسعادة من هذه الكلمات التي يسمعها منهم الآن..... وبدأ يتحدث عن كمية السعادة التي يشعر بها أمام الجميع، ولما انتهى المؤتمر، فوجئ الشاب بذلك العجوز مُجددًا الذي التقاه منذُ فترة وهو الشيخُ صالح وابنهُ ينتظران في الخارج....

***

. . لما انتهى من المؤتمر، خرج مع عائلته لمُغادرة المكان والذهاب إلى البيت، ثم سمع صوتًا يُنادي عليه، فنظر خلفهُ، فوجد العجوز مُجددًا، ورأى بجانبه محمود، فركض مُسرعًا إليه كأنهُ يركض وراء شخص ما من فرحته به، وعانقهُ عناقًا شديدًا... . ثم قال العجوز لهُ: قد قرأ محمود عن مشروعك ورأى صورتك في مجلة ما، فلما علم بك، وأخبرني، جئنا إليك مُسرعين.... فأتى وقطع حديثهم الأب وألقى السلام عليهم، ثم أخبر حمزة بأن المُكافأة سوف يستلمها غدًا؛ وقال له أيضًا: إننا سوف نذهب إلى المنزل، وننتظرك تأتي بالشيخ صالح على العشاء..

***

فذهب الرجل، وتركهم، وحمزة قد أخبر العجوز بأنه سوف يجلس معهم في تلك المدينة حتى أن يبدأ حفل زفافه، فقال الرجل وعلامات الاستفهام تملأ وجهه من هذا السؤال قائلًا: لمن يكون ذلك اليوم يا بُني..؟ فقال له بابتسامة خفيفة تُبين خجله: إنهُ لي أنا وعائشة..! . فرد الرجل وفي غاية السعادة والفرح من سماع هذا الخبر سوف أبقى، ولن أذهب يا حمزة حتى أراك سعيدًا في هذا اليوم... فلما انتهوا، صعدوا ليركبوا السيارة العالية، وذهبوا للمنزل، ووجد العائلة ما زالت تنتظرهم على العشاء، فجلسوا ولما انتهوا من الحديث ومن العشاء، أخذ حمزة العجوز وابنه إلى غرفته الذي ينام بها وقال لهم سوف تكون غرفتكم من الآن، وذهب وأحضر لهم ثيابًا جديدة وقد نام مع أخيه في حجرته...

***

. ففي صباح يومٍ جديد، ذهب الشاب إلى عائشة، وأخبرها بأنه ينتظرها، ويُريد التحدث إليها، فلما نزلت إليه، وأخذها وذهبوا إلى مكانٍ ما، وأخبرها بأنه سوف يأتي مع والدهِ في المساء لتحديد يوم الزفاف... ففرحت كثيرًا من سماع هذا الخبر، وقالت له: سوف أخبر والدتي وعمي عن ذلك وذهب الشاب، ليحضر نفسه للمساء، وذهبت الفتاة أيضًا، فأخبرت والدتها عن هذا وهي تقول لها مُديري سوف يأتي ويتقدم لي في المساء وهي في غاية الجنون لم تستطع تصديق ذلك...

. فلما جاء المساء، ذهب كل من والدي حمزة ومعهما الشيخ العجوز صالح إلى هذا المنزل لكي يحددا موعد الزفاف، وتم استقبالهما بالكثير من الاهتمام، وجلسا يتحدثان عن الموضوع، وحُدِّد بعد أسبوع كامل من تلك الليلة، فرجعا إلى البيت جميعًا وهم يحتفلون بحمزة ويغنون لهُ وهو في أجمل أيامه، ثم قال الشيخ صالح لهُ: إنني الآن يا بني سوف أذهب إلى البلدة، وحينما يأتي اليوم المُنتظَر سوف تجدني أول من يأتي إليك.... . فذهب العجوز للبلدة وفي صباح اليوم الثاني، اتجه حمزة ومالك إلى استلام الجائزة، فأتى بهذا المبلغ، ورجع للمنزل... . وحينما أتى الليل، ذهبوا جميعًا إلى بيت (حلة) لكي يقابلوا والدها ويحددوا موعد زفاف مالك وحلة مع موعد أخيه.. . ثم بدأ صباح يومٍ جديد، فظلوا يجهزون كل شيء لتلك الليلة، ثم جاءت الليلة التي تسبق ليلةَ الزفاف قد أخبر الأب حمزة قائلًا له: اذهب الآن يا بُني إلى البلدة التي يسكن بها عمك وادعوه لحضور يومِ زفافك، ثم سمع حمزة كلام والده وقال لمالك:

أتأتي معي..؟

فقال له مالك: إن حلة تنتظرني الآن سوف نذهب لكي تشتري أشياء لها لليلة الغد....

***

فخرج الشاب وأخذ معه الكثير من الأموال الذي قد جمعها ونصف تلك الذي أخذها من المؤتمر؛ ثم أخذ سيارتهُ وذهب إلي عمهُ وقد دخل إليه ولم يعرفهُ عمهُ وراءهُ عاجزًا ويجلس علي كرسي يتحرك وقد صعب عليه كثيرًا لم حدث لهُ؛ ومع ذلك لم يعرفه عمه ولكن ابنهُ قد عرفهُ وقال لأبيه أن حمزه قد رجع يا أبي...! فنظر إليه الرجل وقال لهُ حمزه..! ثم احتضنه الرجل وقال لهُ سامحني يبُني...؟

. ثم أتجه إلي غرفته ليتذكر أيام طفولته وهذه الأيام المؤلمة الذي قضاءها فيها ثم نزلت دموع الشاب من هذه الذكريات؛ ثم سرح بتفكيره وهو يقول " ياه لك من زمن وياه لكي دنيا وذكريات اهً اه علي هذه الايام " ثم مسح دموعهُ، وخرج الذي معه أخبره عن موعد الفرح، وأعطاه مبلغًا كبيرًا من المال، ثم تركهُ، وذهب...

. فذهب إلى أصدقائه وقد كانت أطفال البلدة يجرون وراء هذه السيرة الذي لم يروِ مثلها من قبل، وهو كان يعطيهم الأموال، ويقول لهم كلمات تحفيزية، حتى التقى أصدقاءه جميعًا وقد دعاهم إلى حفل زفافه، وتركهم وذهب مُتجهًا إلى بلدة الشيخ صالح، ووصل إلى منزله، وطرق الباب، فلما فتح لهُ، ودخل يجلس معهُ بالداخل

وقد أخبرهُ بأن يأتي معهُ الآن، فرفض الرجل، لأن ابنه لم يكن موجودًا في البيت، فأخبره بأنهُ سوف ينتظره أن يأتي ونأتي إليك في الصباح؛ فخرج حمزة، وفتح باب سيارتهِ الخلفي، وأخرج منهُ حقيبة، وأعطاها للشيخ قائلًا لهُ: إن هذه الأموال أريدها أن تذهب إلى من يستحقونها حقًا، ولم أجد غيرك من يقوم بذلك؛ ثم تركهُ وغادر وهو يشعل السيارة نظر إليه من شرفة سيارتهِ قائلًا: أراك على خير يا والدي....

***

. وهو يسيرُ على الطريق بالسيارة قد شعر بالجوع؛ فأوقف السيارة، وذهب مُتجهًا إلى مطعم كان يوجد على الطريق؛ فدخل وأكل حتى انتهى، فذهب للسيارة وهو يتحرك قد وجد امرأة تجلسُ بجانب الأسفلت، وترتدي ثيابًا مهرولة؛ فأوقف سيارتهُ مُجددًا، ونزل إليه، ثم أمسك بيدها قائلًا لها:

. قومي معي يا أمي؛ سوف نذهب معًا إلى مكان ما، فلما قامت وركبت السيارة، حكت لهُ قصتها بأنها تمتلكُ ابنتين وهي تعملُ عليهما لكي توفر لهما قوت يومهما وهي مريضة أيضًا، وتتعالج من الكبد، فأخذها من يديها، وذهب بها إلى محل قريب من هذه المنطقة، واشترى لها ولأولادها ثيابًا جديدة وطعامًا، ثم اتجه إلى مكينة أموال تودَع في الشارع، فأخرج منها مبلغًا، وذهب معها إلى بيتها، فلما دخل، ووجد هؤلاء الفتيات يجلسن بجوار أريكة قديمة يكثر عليها التراب، وأما ثيابهن، فكانت والدتهن تصنعها لهن من الثياب المُتبقية لدى الناس، فحزن كثيرًا على حالتهم هذه وقد

أوشكت الدموع أن تتساقط من عينيه إلا أنهُ ذهب تجاههم، وعانقهم بشدة، ثم أعطاهم الثياب وأعطى أمهم الأموال، وقبل أن يذهب قال لأمهم عن مكان بيتهِ، وأخبرهم بأنهُ ينتظرهم جميعًا في الصباح هُناك وقد دعاهم على حفل زفافه، وحذر والدتهم من الغياب، ثم غادر وسار على الطريق مُجددًا مُتجهًا إلى المنزل، فقبل أن يدخل المدينة قد أتت سيارة كبيرة الحجم تحملُ أثقالًا فوقها، فتصادمت بسيارته وحدث بينهم حادثة، وسرعان ما اجتمع الناس على رؤية المُصابين، فوجد حمزة مرميًا على الأرض، فحملوه ذاهبين به إلى المُستشفى، وظلوا ينتظروه في الخارج، بعد أن دخل إلى غرفة العمليات فور وصوله؛ إلا أن أتى الطبيب وقد عرفوه أيضًا؛ فقد كان حمزة شابًا مشهورًا جدًا في المدينة بسبب قصته ونجاح مشروعه؛ فلما رآه الطبيب، أخبر السكرتيرة الخاصة به بأن تتصل بوالده، وتخبره عما حدث وحقًا قد فعلوا ذلك....

. اتصل الرجل بأبيه، وأخبرهُ عما حدث، فقد أخذ يركض بالسيارة ومعهُ مالك وزوجته، واتجها إلى المستشفى، ثم أتى صباح يوم الزفاف فقد علم الجميع ما حدث للشاب؛ فذهبوا جميعًا إليه في المُستشفى وهم في حالة من الخوف والفزع عليه؛ فظلوا ينتظرون في الخارج جميعًا إلا أن أتى إليهم الطبيب من الداخل في العاشرة صباحًا قائلًا: . قد فقدنا المريض، البقاءُ لله وحده.....!

***

فلما سمعوا هذا الخبر المؤلم؛ صُدِموا جميعًا، ولم يصدق البعض ما يقولهُ الطبيب، وكثر البُكاء في المكان والصراخ بأعلى صوت، وانتشر الخبر في جميع أنحاء البلدان؛ وقعت عائشة على الأرض بعد سماع هذا؛ وظل مالك لم يصدق ذلك ويقول للطبيب إن أخي سوف يُرجع من تلك البلدة ونُقيم يوم الزفاف معًا، ثم يقول لحلة صحيح يا حلة إن حمزة سوف يرجع مُبكرًا؛ وعم الحزن في المكان على الشاب وهو الآن قد ذهب ولم يعد، وظل أخوه يبكي، وصرخ بأعلى صوت وكانت بجانبه حلة وتحاول تهدئته، ولم تتركهُ؛ وأيضًا الأب كان مصدومًا، وقد وقف مكانه، ولم يستطع التحرك كأنهُ قد نزل عليه ساعق من السماء، فجعلهُ في سُباتٍ تام، أما أخواتهِ وأمه فإنهم كانوا يبكون ويصرخون بأعلى صوتٍ ويقولون لماذا ذهبت يا حمزة..؟ لماذا تركتنا في يومٍ هكذا..؟ قد تعودنا وجودك بجانبنا أين أنت الآن يا أخي... والرجلُ العجوز لم يستوعب إلى الآن ما قد حدث، وقد انقلبت المدينة كلها على سماعِ ذلك الخبر، ولم يصدق أحدٌ ما قد حدث؛ وعمهُ وأصدقاؤه وتلك المرأة والصغيرتان حقها تصرخ وتقول إنك قد أخبرتني بأن آتي إليك اليوم لكي أحضر يوم زفافك وإنني قد أتيت كما وعدتك، ولكن لم أدرِي بأنك سوف ترحل وتتركنا بهذا المنظر ثم تبكي والجميع يسمع نداءهُ ذلك ويبكون، فقد امتلأت المدينة بأكملها حزنًا على الشاب، قد سَلَّم حمزة أمانتهُ وذهب للقاء ربه ووالداها هُناك؛ والشيخ صالح قد أخرج هذه الأموال وقد فرقها باسمهِ بعد وفاته وأيضًا والدهُ قد فعل مثل هذا؛ وأما مالك، فقد دخل في مرحلة حزن شديد على

أخيه، ولم يستطع الخروج منها، وعائشة قد أُصيبت بأزمة قلبية حادة، ولكنهم قد لحقوا بها، وهكذا هي الحياة قد انقلبت الموازين، بعد أن كان فرحًا، أصبح حزنًا، وبعد أن كان الشاب حزينًا في البداية، أصبح سعيدًا في المدينة، وبعد أن كان فقيرًا، أصبح غنيًا، وبعد أن كان حيًا، أصبح ميتًا، هذه الحياة....

***

. وهذه هي النهاية لكل أنسانٍ يحسبُ نفسهُ خالدًا فيها؛ لا عليكم من حزن ولا من تعب أنفسكم علي شيئًا فأني ووقتًا سوف يمضي؛ كلًا منا لديه رسالته وأمانه لهذه الحياة وقد كانت رسالة حمزة للذين ظلموه وجعلوه يتألم بسببهم هي " أن لك موعد مع الله؛ ولي ولك لقاء أخير في محكمة الآخرة"

. تابع...

* وهنا النهاية....*

. وها هي النهاية قد انتهى كلُ شيء انتهى حمزة، وانتهت معهُ أحلامهُ وقد انتهت قصتهُ الآن وقد انتهى دورهُ في الحياة وها هو قد أتى إلى الدُنيا يتيمًا، وذهب منها يتيمًا قد عاش وحيدًا كثيرًا، وقد ذهبَ منها أيضًا وحيدًا، قد أتى إليها دون مال، وذهب إليها دون أن يأخذ معهُ إلا أعماله، وها هي الحياة.! قد انتهى حمزة، وانتهى كلُ شيء، قد توفِي الشابُ قبل أن يُقيم يومَ زفافهِ، ويُفرح من يُريدون أن يروه سعيدًا في هذا اليوم، فقد ترك كلَ شيء، وذهب، قد ترك لهم ذكرة طيبة يتذكرونه بها، ترك أمواله وعائلتهُ وأحبابه وذهب، وقد ذهب وأخذ معهُ ابتسامتهُ، قد ذهب الشاب، ولم يعد يُذكر اسم المُهندس حمزة بعد الآن.....

* نهاية المشوار..